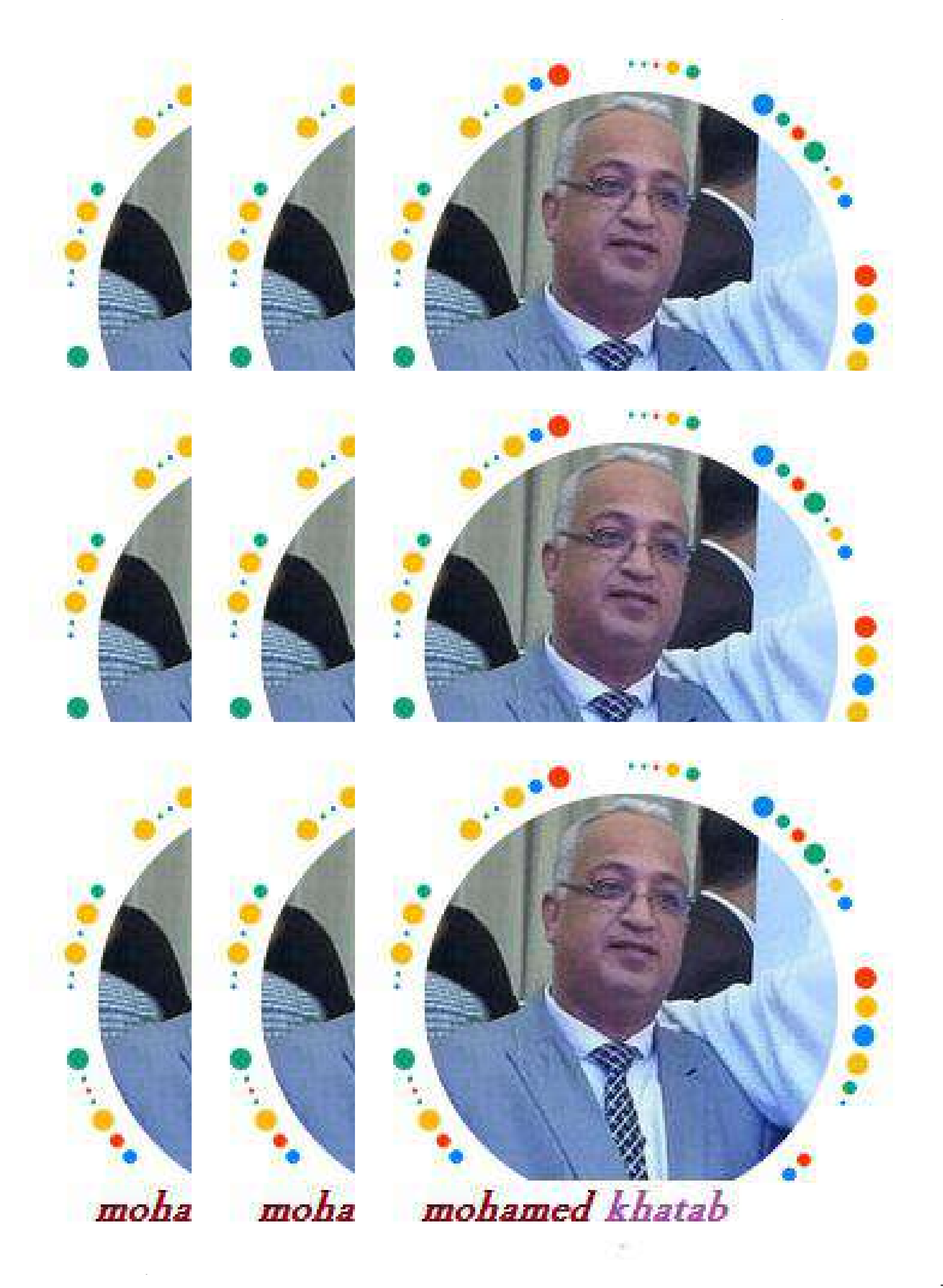


كريم فرغلي

السينما

والرقص على الحبال المشدودة

دراسات | منشورات الربيع


moha
moha
mohamed khatab

كريم فرغلي

السينما

والرقص على الحبال المشدودة

السينما والرقص على الحبال المشدودة

دراسات

كريم فرغلي

طبعة أولى: نوفمبر 2017

فرغلي، كريم

ط1 دار الربيع العربي، القاهرة، مصر

المدير العام: أحمد سعيد عبد المنعم

رقم الإيداع (مصر): 2017/19808

ISBN: 978-977-5221-64-3



manshurat.alrabie@gmail.com

rabe3arabe.com@gmail.com

002-01140848568

0237034079

كريم فرغلي

السينما

والرقص على الحبال المشدودة




لا تقربوا الشجرة
الدين في السينما العربية ثمرةٌ مُحرمة



أفلام أحيلت أوراقها إلى المفتي

«تُحال أوراق المتهم إلى المفتي» هي أشهر جملة قانونية في الأفلام المصرية وأكثرها رعبًا وإثارةً، إذ يسبقها لقطات معتادة في ساحة المحكمة لعيون يملأها الخوف والترقب يليها صراخ هستيري وبطل بالبدلة الحمراء يُجر منهارًا إلى غرفة الإعدام، ورغم أن رأي المفتي في ذلك النوع من القضايا يعتبر استشاريًّا من حق القاضي ألا يلتزم به، فإن الأمر يبدو أكثر تعقيدًا إذا كان في قفص الاتهام (فيلم سينمائي) لأن نتيجة إرسال أوراقه أو شريطه المسجَّل للمفتي المتمثل في رجال الأزهر أو الكنيسة هي إعدام هذا الفيلم وصدور حكم نهائي وملزم بحظر عرضه أو منع تصويره من الأساس، حتى وإن خالفت الرقابة ذلك الحكم على الرغم من كونها الجهة الرسمية الوحيدة في مصر التي لها الحق في منع أو إباحة تنفيذ وعرض الأفلام السينمائية.

يوسف وهبي هو بطل أول معركة بين السينما والجهات الدينية المصرية، حين وافق أن يجسد شخصية النبي محمد في فيلم سينمائي ضخم من إنتاج تركيا سنة ١٩٢٦، كدعاية مشرّفة للدين الإسلامي (وفق ما جاء في مذكراته الصادرة عام ١٩٧٦)، بل وأرسل صوره إلى الصحف بالشكل الذي سيظهر به كنوع من الدعاية للفيلم الذي منع الأزهر تنفيذه بفتوى تحرم تصوير الرسل والأنبياء في أي عمل فني، مطالبًا بتوقيع حد الردة على الممثل الكبير، مما أجبره على التراجع عن قبول المشروع والاعتذار عن الفيلم والدور والصور.

غموض القوانين أو قوانين الغموض

منذ ذلك الوقت ظل الغموض هو سيد الموقف في العلاقة بين السينما والسلطات الدينية في مصر طوال فترة الثلاثينات والأربعينات، لغياب أي صياغة قانونية واضحة يستند إليها أيٌّ من الطرفين في حال حدوث مواجهة بينهما، وفي عام ١٩٤٧ صدر قانون الرقابة المصرية الذي وضعته وزارة الشئون الاجتماعية بعد عام واحد من صدور قانون الإنتاج الأمريكي، حيث نص القانون المصري على: عدم تمثيل قوة الله بأشياء حسية كالجسم أو الصوت أو إظهار صور الأنبياء، مراعاة إظهار المراسم والطقوس وخاصة الإسلامية بشكل

لائق، عدم السماح بإظهار تلاوة القرآن على قارعة الطريق، عدم اقتباس الآيات من الكتب السماوية، لا سيما القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية في مواقف هزلية، وأخيرًا مراعاة احترام الأديان وعدم التعرُّض للعقائد، مع الابتعاد عمَّا يبعث الشِّقاق الديني أو القومي.

تلك القوانين الفضفاضة كانت كفيلة بأن تزيد الأمر تعقيدًا والمشهد السينمائي غموضًا، خصوصًا فيما يتعلق باحترام الأديان أو التحريض على الشِّقاق الديني، وهو ما دفع وزارة الإعلام والثقافة عام ١٩٧٦ لإصدار حزمة جديدة من القوانين بهدف مواكبة مستجدات الحياة الثقافية والفنية، إلا أنها كانت إفرازًا جديدًا لقوانين عام ١٩٢٧، مع إضافة نص صريح هذه المرة هو «مراعاة الرجوع إلى الجهات الدينية المختصة»، ما ألزم الرقابة بنص القانون أن تلعب دور الابن المطيع لما سترتئيه الجهة الدينية التي سيتم إرسال الفيلم لها سواء كانت الكنيسة أو الأزهر.

شاهين ومحفوظ.. اغتيال بنفس الخنجر

عـام ١٩٩٤ كانـت محاولـة اغتيـال الكاتـب الكبـير نجيـب محفـوظ والمخـرج المبـدع يوسـف شـاهين بدعـوى الإسـاءة للأنبيـاء، وإذا كان المنفّـذ لمحاولـة اغتيـال محفـوظ هــو منـدوب عـن الفكـر المتطـرف، فقـد اغتـال شـاهين رأي عـام قولبتـه إكليشـيهات المؤسسـات الدينيـة، فبعـد أن انتهى شـاهين مـن كتابة فيلمـه الجديد «يوسـف وإخوتـه» توجـه بـه للرقابـة الـتي أحالتـه بدورهـا للأزهـر فرفـض تنفيـذه بالطبـع، ممـا دفـع المخـرج القديـر لإعـادة كتابـة السيناريو حـتى يبتعـد بـه عمـا جـاء في القـرآن، وبالتـالي لا يكـون النـبي يوسـف هـو بطـل الفيلـم الـذي تـم تغيـير اسـمه إلى «المهاجـر». المفارقـة أن نائبًـا في البرلمـان المـصري قـدم اسـتجوابًا لوزيـر الثقافـة بعـد عـرض الفيلـم بحجّـة تحريـف قصـة النـبي يوسـف الـتي ذكـرت في القـرآن! وهـو مـا اسـتند إليـه أحـد المحامـين أيضًـا في رفـع دعـوى قضائيـة ضـد شـاهين، ليدعـو وقتهـا الناقـد الكبـير الراحـل عـلي الراعـي كلًّا مـن عالـم الديـن والمحامـي ونائـب

البرلمـان أن يراجعـوا أنفسـهم احترامًـا للعلـم والديـن.

بعـد تعديـلات شـاهين أصبـح المهاجـر هـو رام «خالـد النبـوي» المولـود بعـد وفـاة النـبي يوسـف بأربعـة قـرون، يقـرر رام أن يـنزل إلى مـصر كي يتعلـم الزراعـة، يتفـق إخوته عـلى إلقائـه أسـفل السـفينة غـيرةً منـه ليُبـاع في مـصر الـتي يمنحـه فيهـا سـيده قطعـة أرض ينجـح في زراعتهـا وينقـذ بمحصولهـا الشـعب مـن المجاعـة، يفـر إخوتـه إلى مـصر ويسـتضيفهم رام ويصفـح عنهـم، بعـد أن تعلـم الزراعـة بـدلًا مـن التحنيـط في دعـوة عطـاء للأجسـاد الحيـة بـدلًا مـن تخليـد الأجسـاد الميتـة.

ربمـا لجـأ شـاهين إلى الحيلـة المألوفـة في السـينما المصريـة عندمـا كان يقـرن الفيلـم بأحـداث مـا بعـد ثـورة ٥٢، فيلجـأ المخـرج إلى أن يجعـل أبطالـه يرتـدون الطرابيـش ويسـبق تـترات الفيلـم بعبـارة تقـول إن شـخصياته خياليـة حسـب تعبـير الناقـد محمـود عـلي، وهـو مـا يتضـح مـن وجـود تنويهـين مختلفـين في مقدمـة الفيلـم، ذكـر الأول باللغـة العربيـة أن القصـة مسـتوحاة مـن الـتراث الإنسـاني، بينمـا أشـار الثـاني بالفرنسـية أن الفيلـم عـن -يوسـف بـن يعقـوب في الكتـب السـماوية- دون تحديـد أي منهـا، إلا أن اعتراضـات الأزهـر كانـت قـد رسـخت لـدى الـرأي العـام أن «المهاجـر» هـو النـبي يوسـف، كمـا جـاء في القـرآن، وهـو

ما أصر عليه عدد من الصحفيين غير المتخصصين كان من بينهم الكاتب فهمي هويدي، الذي أكد ذلك في مقال نشرته «الأهرام» بعنوان «المهاجر وعبرته» وهو ما رد عليه شاهين قائلًا «إن الكاتب الكبير لم يُشر إلى الفيلم إلا بجمل عابرة لم يقل في أي منها بصراحة أنه شاهده»، إنه التابوه الذي صنعه الأزهر وروَّج له فنجح في قولبة رأي كاتب بحجم هويدي دون أن يشاهد الفيلم، فما بالنا برجل الشارع، تمامًا مثلما أكد طاعن نجيب محفوظ أنه لم يقرأ الرواية التي حاول أن يغتاله بسببها، بل إنه لم يقرأ له على الإطلاق وإنما استند على ما تردد من إساءته للأنبياء في إحدى رواياته.

والحقيقة أن معركة « المهاجر» تمثل نموذجًا متكاملًا للصراع بين السينمائيين والمؤسسة الدينية، خصوصًا بعد استمرار غضب الأزهر رغم التغييرات التي أجازها، مطالبًا بوقف عرض الفيلم، مما دفع الناقد سمير فريد إلى التعليق في مقال نُشر بجريدة «الجمهورية» قائلًا: «حل علماء الدين محل نقاد الأدب وأفتوا في رواية نجيب محفوظ (أولاد حارتنا) ومحل نقاد السينما وأفتوا في فيلم يوسف شاهين (المهاجر)».

امتد موقف المؤسسات الإسلامية من قضية تجسيد الأنبياء في الأعمال الفنية والسينمائية إلى الأفلام الأجنبية

أيضًـا، مثـل فيلـم « نـوح ٢٠١٤» للمخـرج الأمريـكي داريـن أرنوفسـكي Darren Aronofsky، وبطولـة راسـل كرو Russell Crowe، حيـث أصـدر الأزهـر بيانًـا مشتركًا مـع هيئـة كبـار العلمـاء ومجمـع البحـوث الإسـلامية برفـض عـرض الفيلـم رغـم إجازتـه مـن قبـل الرقيـب السـابق أحمـد عـواض، فعـلى الرغـم مـن أننـا دولـة مدنيـة فإننـا نسـعى فيمـا يبـدو لتطبيـق معاييـر إيـران وغيرهـا مـن الـدول الدينيـة في السـينما، عـلى حـد تعبيـر الناقـد طـارق الشـناوي، تلـك المعاييـر الـتي أدت إلى سـجن المخـرج الإيـراني الكبيـر جعفـر بناهـي ثـم منعـه مـن الإخـراج والتأليـف والسـفر.

والغريـب أن إيـران أبـدت في تلـك النقطـة تحديـدًا تحـررًا كبيـرًا، حيـث قـدم المخـرج الإيـراني شـهريار بحـراني فيلـم «النـبي سـليمان ٢٠٠٩» جسـده الممثـل أمـين زنديـكاني ومسلسـل «مريـم المقدسـة ٢٠٠٠» الـتي جسـدتها شـبنم قـلي خـاني، وقـدم المخـرج محمـد رضـا ورزي فيلـم «النـبي إبراهيـم» بطولـة محمـد صـادقي، كمـا نفـذ المخـرج مجيـد مجيـدي فيلمًـا يقـدم سـيرة النـبي محمـد عـام ٢٠١٥ بتكلفـة هـي الأضخـم في تاريـخ السـينما الإيرانيـة حـتى الآن «٣٠ مليـون دولار»، حيـث تـم تجسـيده طفـلًا وشـابًّا دون أن تظهـر ملامحـه بوضـوح طـوال أحـداث الفيلـم، الـذي حرمـت مشـاهدته معظـم الجهـات الإسـلامية ابتـداءً بمفتي

السعودية، مؤكـدًا أن عـرض الفيلـم لا يجـوز شرعًـا، واصفًا مجيـدي بـ «المجـوسي عـدو الإسـلام» وصـولًا إلى الأزهـر وتصريحـات شـيوخه بـأن مشـاهدة الفيلـم «مُحرمـة».

بين المنع والسيطرة

صِدام السينمائيين مع الأزهر في رفضه تجسيد الأنبياء لعدم الانتقاص من مكانتهم الروحية، على حد تعبيره، امتد إلى رفض تجسيد الصحابة أيضًا، حيث ظل فيلم «الرسالة ٧٦» للمخرج مصطفى العقاد ممنوعًا في مصر والكويت والسعودية من العرض السينمائي والتلفزيوني بدعوى تجسيد شخصية حمزة عم النبي «عبد الله غيث - أنتوني كوين» رغم إجازة الأزهر لسيناريو الفيلم قبل تنفيذه، بعد أن شدد على مخرجه بعدم تجسيد النبي أو العشرة المبشرين بالجنة شخصًا أو خيالًا أو ظلًّا أو صوتًا، وهو ما التزم به العقاد، ليظل قرار المنع غامضًا، حتى سُمح بعرض الفيلم على التليفزيون المصري لأول مرة عام ٢٠٠٧ بعد منعه ٣١ عامًا! وهو نفس مصير فيلم «القادسية ٧٩» للمخرج صلاح أبو سيف بسبب تجسيده لأحد العشرة المبشرين بالجنة سعد بن أبي وقاص «عزت العلايلي»، رغم أن تلك الأفلام كان قد تم عرضها مرارًا على معظم الفضائيات

الخاصة، والتي من المعروف أنها أوسع انتشارًا وجماهيرية من القنوات الحكومية، إضافة إلى سهولة مشاهدتها على مواقع الإنترنت، بل إن رأي الأزهر لم يمنع المصريين ولا المسلمين من متابعة مسلسل «عمر ٢٠١٢» للمخرج حاتم علي، والذي أنتجته قناة سعودية خاصة، وتم فيه تجسيد عدد كبير من كبار الصحابة المبشرين وغير المبشرين مثل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وأبي بكر الصديق، بالإضافة إلى عمر بن الخطاب بطل المسلسل، وغيرهم.

غضب الكنيسة

في الكنيسة المصرية لم يكن الأمر أفضل كثيرًا إلا من حيث المبدأ فقط، حيث لا تعارض الكنيسة فكرة تجسيد الأنبياء ولكنها تشترط الموافقة على عرض أو تنفيذ أي فيلم يتعرض لحياة المسيح أو رجال الدين المسيحي من قريب أو بعيد، مثل فيلم «آلام المسيح ٢٠٠٤» The Passion of the Chris لميل جيبسون Mel Gibson، الذي أثار لغطًا كبيرًا في ذلك الوقت، إلا أن الكنيسة سمحت بعرضه في النهاية، بينما اعترض الأزهر وحرم على المسلمين مشاهدته رغم موافقته في الثلاثينات على عرض فيلم «حياة وآلام المسيح» بعد دبلجته إلى العربية، حيث قام بالأداء الصوتي للمسيح

أحمد علام، بينما أدت عزيزة حلمي صوت مريم العذراء وسميحة أيوب صوت مريم المجدلية.

من ناحية أخرى أصدر المجلس المِلّي بيانًا نشرته الصفحة الرسمية للكنيسة المصرية في مارس الماضي ينص على أن المجلس لن يتهاون في اتخاذ كل الإجراءات القانونية ضد إنتاج فيلم أو مسلسل عن حياة البابا شنودة الثالث، قبل الرجوع إلى الكنيسة، ردًّا على بعض الفنانين الذين أبدوا رغبتهم في تجسيد شخصيته، رغم عدم استطاعتها منع قناة «الجزيرة » من إنتاج وعرض فيلم تسجيلي عن حياته على قناتها الوثائقية عام ٢٠٠٩ قبل وفاته.

بل إن البابا شنودة نفسه غضب بشدة من فيلم «متّى المسكين» الذي عُرض دون موافقته على قناة «الجزيرة» أيضًا عام ٢٠١٠، وهو ما دفع الفنان عادل إمام إلى زيارة البابا لاستئذانه في القيام بدور رجل الدين المسيحي في فيلم «حسن ومرقص ٢٠٠٨ » تفاديًا لغضب الكنيسة التي ظلت متحسّسةً من تجسيد شخصية المسيحي على الشاشة، حتى وإن لم يكن رجل دين، تلك الحساسية التي وصفها الناقد طارق الشناوي بأنها أوراق السوليفان المغلف بها على الشاشة، مما أدى إلى منع عرض فيلم «الخروج» عام ٢٠١١ لتقديمه حياة أسرة مسيحية غارقة

في العلاقـات غـير الشرعيـة والقمـار، ممـا يـسيء لصـورة الشخصية المسيحية، عـلى حـد تعبـير الكنيسـة، وهـو مـا واجهـه فيلـم «بحـب السـيما ٢٠٠٤» لاسـتعراضه تناقضـات أسرة مسـيحية في السـتينات، مكونـةً مـن الـزوج المتزمّـت عـدلي «محمـود حميـدة» الـذي يحـرّم السـينما والرسـم وأغلـب متـع الحيـاة بعكـس زوجتـه الجميلـة نعمـات «ليـلى علـوي»، بينمـا يعيـش الابـن نعيـم «يوسـف عثمـان» غارقًـا في عشـق السـينما كأكـثر أفـراد الأسرة تمـردًا، الـتي يعيـش أفرادهـا حيـاة مزدوجـة تمامًـا، فـالأم ترسـم الطبيعـة الحيـة خلـف اللوحـات وتواعـد رسـامًا شـابًّا، بينمـا يعشـق الابـن السـينما، وتُقبّـل الابنـة حبيبهـا في الكنيسـة والمـنزل، يتعـرض عـدلي للـضرب مـن الجهـات الأمنيـة عقابًـا لـه عـلى انتقـاده لخطـاب عبـد النـاصر لينفجـر باكيًـا مكتشـفًا أن الخـوف ليـس هـو الطريـق الأمثـل لإرضـاء الله.

إضافـةً إلى الإسـاءة للشـخصية المسـيحية أثـار فيلـم «بحـب السـيما» انتقـادات الكنيسـة بدعـوى أنـه يـسيء إلى المسـيح ويسـتخف بـه في عـدة مشـاهد، منهـا مشـهد نعيـم وهـو يخاطـب صـورة المسـيح قائـلًا «انـت معندكـش غـير جنـة ونـار»، الفيلـم الـذي صنعـه مبدعـون مسـيحيون «المؤلـف هـاني فـوزي والمخـرج أسـامة فـوزي والمنتـج هـاني جرجـس فـوزي»، ويحـكي عـن تفاصيـل حيـاة أسرة مسـيحية، دفـع

المنتجة إسعاد يونس لتأكيدها أن الفيلم اجتماعي وليس دينيًّا، وبالتالي ليس هناك مبرر لعرضه على الكنيسة، وهوما أفلح في تحقيقة الرقيب مدكور ثابت، بعد أن شكّل لجنة من النقاد والمثقفين الأقباط الذين أنقذوا الفيلم من حكم أكيد بإعدامه أو تشويهه، ليظل شريطًا متمردًا على عقل سينمائي متكلّس ومستشرٍ لدى معظم صناع الأفلام ونجومها في مصر، على حد تعبير الكاتب إبراهيم عيسى، الذين يعيشون حالة خوف من أي مشاهد أو حوارات في الأفلام أو المسلسلات تتناول قضايا دينية يعتبرها السلفيون محرمةً، ويراها آخرون حرجة، على حد تعبير عيسى.

السير على الحبال المشدودة

الواضح أن الرقابة الدينية في مصر «حافظة مش فاهمة»، إذ تصادر الأفلام وتذبح محتواها وفقًا لإكليشيهات محددة، لا يملك صناعها أدنى خلفية عن اللغة السينمائية وكيفية قراءتها وتأويلها، مثلما اعترض الأزهر على مشهد أمين الشرطة وهو يقرأ مجلة «صوت الأزهر» في فيلم «سالم أبو أخته ٢٠١٤ »، بحجة أنه تلميح بدعم الأزهر لاستبداد السلطة، بينما أفلتت سيناريوهات حملت مضامين أكثر جرأة من كل الأفلام التي تم الاعتراض عليها.

في فيلمه المتفرد «أرض الخوف ١٩٩٩» قدم داوُد عبد السيد تجربة يحيى «أحمد زكي» الذي سار طريقًا رُسم له بعد أن نفذ كل المطلوب منه تمامًا، دون أن يحقق شيئًا لنفسه، بل لقد فشل في أن يوقف الشر بعد أن أصبح جزءًا منه فعليًا كما فشل في أن يعود نقيًا كما كان، ينتهي الفيلم باحتضانه لفريدة رمز عالمه النقي،

بينمـا نسـمع صـوت ضمـيره وهـو يقـف في شرفـة المـنزل معـبّرًا عـن حنينـه إلى أرض الخـوف، ليتسـاءل الفيلـم عـن الجـدوى وراء كل مـا نُلاقيـه مـن عنـاء وهـل الجنـة هـي النعيـم الحقيقـي الـذي نبحـث عنـه.

وهـو مـا عـبرت عنـه سـلوى «معـالي زايـد» في فيلـم «للحـب قصـة أخـيرة، ٨٦»، لرأفـت الميهـي، بعـد اكتشـافها مـرض زوجهـا رفعـت «يحـيى الفخـراني» الـذي يؤكـد الأطبـاء أنـه لـن يعيـش سـوى أشـهر قليلـة، وهـو مـا يحـدث بالفعـل، مما يدفعهـا لتحطيـم الضريـح، بعـد أن لجـأت إليـه عـلى أمـل إنقـاذه مـن مرضـه، مـا يطـرح فكـرة جـدوى الإيمـان بالغيبيـات في حياتنـا.

في فيلـم «تفاحــة، ٩٧»، اسـتمر الميهــي في طـرح أفـكاره الجريئـة، حيــث قــدم شـخصية راوي الحكايـات «عــلي حسـنين» بصفتـه «خالقًــا» للحكايـات، وليــس مجــرد راوٍ لبطـلي الفيلـم حسـن «ماجـد المـصري» وزينـات «ليـلى علـوي» اللذيـن يهاجمانـه ويتهمانـه بتجاهلهمـا وتجاهـل آلامهمـا في رؤيـة شـديدة الجـرأة نجحـت في الإفـلات مـن مقصلـة الرقابـة الدينيـة في مـصر.

وبكثـير من التوابـل التجاريـة عـاد المؤلـف هـاني فـوزي مـع المخـرج خالـد يوسـف بفيلـم «الريـس عمـر حـرب ٢٠٠٨»

الـذي تـدور أحداثـه في كازينـو للقمـار كصـورة مصغـرة لعالـم الشـهوة، طارحًـا عـدة تأويـلات وتسـاؤلات مختلفـة حـول المنتـصر في صراع النفـس البشريـة بـين نـوازع الخـير والـشر، ومـدى مسـئولية الإنسـان عـن اختياراتـه، بـل مـدى قدرتـه عـلى الاختيـار مـن الأسـاس، ليطـرح الثنـائي هـاني وأسـامة فـوزي تسـاؤلات جديـدة حـول علاقـة الإنسـان بـالله، وجـدوى وجـود الجنـة والنـار في فيلـم «بالألـوان الطبيعيـة، ٢٠٠٩»، مـن خـلال تجربة يوسـف «كريم قاسـم» طالـب كليـة الفنـون، الموهـوب الـذي يخـوض صراعًـا بـين جمـوح الفـن وقيـود الديـن، متسـائلًا عـن الهـدف وراء تلـك المعانـاة الـتي يكتشـف في نهايتهـا أن الجنـة والنـار حـالات يخلقهـا الإنسـان لنفسـه أكـثر مـن كونهـا أماكـن ماديـة موجـودة بالفعـل، إلا أنـه يظـل مُحـاصَرًا حـتى النهايـة في صراعـه مـع القـوى الـتي شكَّلت أفـكاره وقيـوده.

وإذا كانـت تلـك الأفـلام قـد تطرقـت بجـرأة للعديـد مـن الثوابـت الدينيـة والمتعلقـة أحيانًـا بالـذات الإلهيـة، فإنهـا حاولـت أن تطـرح رؤيـة مبدعيهـا برمزيـة تحتمـل عـدة تأويـلات، وإلا كان المقابـل هـو الاستسـلام، لتدخُّـل المؤسسـة الدينيـة في المضمـون والتفاصيـل، مثـل مـا حـدث في فيلـم «الملحـد، ٢٠١٤»، للمؤلـف والمخـرج نـادر سـيف الديـن، الـذي أكـد إجـراءه كل التعديـلات

الـتي فرضهـا الأزهـر عـلى سـيناريو الفيلـم، حـتى يسـمح بعرضـه، وهـو مـا يدفـع مبدعـي السـينما الحقيقيـين إلى أن يظلـوا كالسـائرين فـوق حبـال الرقابـة الدينيـة المشـدودة في الهـواء حـتى يصلـوا بأفلامهـم سـالمة إلى دور العـرض، وإلا تـم ضبطهـا وإحالـة أوراقهـا إلى المفـتي.

- تاريخ الرقابة على السينما في مصر، سمير فريد.
- الرقابة على السينما القيود والحدود، حسين بيومي.
- محظورات على الشاشة، أحمد شوقي.
- السينما المصرية بين المحلية والعالمية، محمود علي.
- سينما يوسف شاهين، سعاد شوقي.

القُبلة، القُبلة، القُبلة

القُبلة، القُبلة، القُبلة؟ هكذا رددتها أم كلثوم حائرةً حينما سُئلت «هي حلال ولّا حرام» قبل أن تجيب: «القبلة إن كانت للملهوف، اللي على ورد الخد يطوف، ياخدها بدال الواحدة ألوف، ولا يخشى للناس ملام»، لكن الفتوى الكلثومية التي صاغها بيرم التونسي ولحنها زكريا أحمد في الأغنية الشهيرة «قل لي ولا تخبيش يا زين» لم تمنع «الملام» عن القُبلة في السينما ولم تنقلها إلى منطقة آمنة من الهجوم، بل ظلت موضع استياء ورفض وإدانة أخلاقية ودينية صوبتها أسهم التدين الوهابي حتى انقرضت القُبلة تدريجيًّا من الأفلام المصرية، بل تحولت في فترة من الفترات إلى مخاطرة، بعد أن ظلت عاملًا مضمونًا لجذب الجمهور الذي كان يدخل بعض الأفلام خصيصا ليعُد القُبلات الموجودة ضمن مشاهده مثل فيلم «حكاية حب، ٥٩» للمخرج حلمي حليم و«أبي فوق الشجرة، ٦٩ « لحسين كمال، كما لعبت بعض القُبلات دورًا كبيرًا في الدعاية

الجماهيرية وأصبحت أكثر شهرة من أفلامها، مثل قبلة فاتن حمامة وعمر الشريف في فيلم «صراع في الوادي، ٥٤».

معايير مزدوجة

المفارقة أن الجيل الذي تربى على إبداعات سعاد حسني وهند رستم ثم ميرفت أمين ونجلاء فتحي اللواتي لم يخل لهن فيلم تقريبًا من مشهد عاطفي أو لقطة ساخنة أصبح هو نفسه الرافض لمشاهد القبلات ونبذ أفلامها لأسباب دينية وأخلاقية. إنها الحقيقة التي كثيرًا ما حاول ترويضها منتجو السينما وتحليلها علماء الاجتماع، وهي أننا شعوب متناقضة، نهاجم البرامج التي تتحدث عن الجنس بشكل علمي، في الوقت الذي نستمتع فيه بترديد النكات الجنسية بين أصدقائنا. ننظر للراقصات بدونية مهينة ثم ندعوهن لإحياء أفراحنا، سواء كانت فوق السطوح أو في أرق الفنادق. نُدين ما يقوم به الممثلون من قبلات ومشاهد ساخنة ثم نطاردهم من أجل «سيلفي» يجمعنا بهم إذا صادفناهم في الأماكن العامة.

ازدواج المعايير لم يسلم منه الفنانون أنفسهم، ليس فقط بالنسبة لمن اعتنقوا فكرًا سلفيًّا متطرفًا تبرأوا

بسببه من تاريخهم وأعمالهم، مثل وجدي العربي وحسين صدقي وبعض الفنانات اللواتي ارتدين الحجاب، ثم حرّموا الفن وفسّقوا أهله، لكن الأغرب هو تأكيد عدد من الذين لم يعتنقوا هذا الفكر صراحة على رفضهم لقيام زوجاتهم أو بناتهم بتأدية المشاهد العاطفية، أو عملهن في التمثيل من الأساس اتقاء لذلك، رغم قيامهم بتقبيل عدد كبير من الفنانات في معظم أعمالهم، مثل النجم الراحل سعيد صالح وغيره.

قُبلات حقيقية

ربما كان نور الشريف من أكثر النماذج المتسقة مع قناعاتها، حيث لعبت زوجته النجمة بوسي بطولة عدة أفلام تضمنت مشاهد لقبلات تبادلتها مع ممثلين آخرين، مثل «حبيبي دائمًا، ٨١ « لحسين كمال و«إعدام ميت، ٨٥» لعلي عبد الخالق. المنتج محمد مختار أيضًا قدم معظم أفلام النجمة نادية الجندي التي دام زواجه منها لفترة تزيد عن «١٥» عامًا، أنتج خلالها أنجح أعمالها التي لم يخلُ أحدها تقريبًا من مشهد لقبلة، تبادلتها نجمة الجماهير مع أبطال أفلامها، مثل «مهمة في تل أبيب، ٩٢» لنادر جلال، و«حكمت فهمي، ٩٤» لحسام الدين مصطفى، وغيرهما.

ما واجهه هؤلاء النجوم من انتقادات دفعت آخرين لاتقائها عن طريق تقبيل زوجاتهم على الشاشة، باعتبار أن القبلة هنا «حلال» شرعًا وليس على طريقة أم كلثوم. أنور وجدي كان أول هؤلاء الفنانين، حينما قبّل ليلى مراد في فيلم «ليلى بنت الفقراء، ٤٥» الذي كان من إنتاجه وإخراجه وبطولته، حيث روّج بذكائه المعهود أن مشهد الزفاف في الفيلم كان حقيقيًا ليكتسب المزيد من المصداقية والتأثير، إذ حرصا بعده على أن يظهرا معًا كزوجين أو عاشقين في عدة أفلام مثل «قلبي دليلي، ٤٧» لحسن الصيفي، و«غزل البنات، ٤٩» و«حبيب الروح، ٥١» إخراج أنور وجدي.

عمر الشريف وفاتن حمامة انفردت قبلاتهما بمكانة خاصة ربما هي الأكثر شهرة ومصداقية على الشاشة، لتداخل الواقع بالفن بشكل أسهم في هذا التفرد. كانت فاتن نجمة كبيرة حينما عرض عليها يوسف شاهين بطولة فيلمه الجديد «صراع في الوادي، ٥٤ » أعجبت بالسيناريو ووافقت أن يلعب دور البطولة أمامها وجه جديد، لكنها اشترطت على شاهين أن توافق هي عليه أولًا، وأن يحذف القبلة المتبادلة بينهما من أحد المشاهد.كان الممثل الجديد هو عمر الشريف، الذي وقع في غرامها منذ لحظات لقائهما الأولى وبادلته هي

نفس الشعور، ليفاجأ الموجودون بالاستوديو في أثناء تصوير المشهد ذي القبلة المحذوفة بقيام البطل بتقبيل البطلة المتحفظة دون أن تمانع أو تعلق، بعد انتهاء المشهد الذي أشعل الحب الحقيقي بينهما ليرتبطا بعده رسميًا في زواج دام «١٠» أعوام، قدما فيها معًا العديد من الأفلام التي تضمنت مشاهدها قبلات عاطفية، مثل «سيدة القصر، ٥٨» لكمال الشيخ و«نهر الحب، ٦٠» لعز الدين ذو الفقار.

نور الشريف وبوسي أيضًا تبادلا القبلات في أفلام مثل «قطة على نار، ٧٧» لسمير سيف والرومانسية الحالمة في أفلام أخرى مثل «حبيبي دائمًا» لحسين كمال و«كروانة، ٩٣ » لعبد اللطيف زكي، بالإضافة إلى «العاشقان» الذي أخرجه نور الشريف عام ٢٠٠١، ويعتبر آخر الأفلام التي جمعت بين النجمين كثنائي ظل الأشهر بين الثنائيات التي قدمت قصص الحب على الشاشة بعد ذلك مثل فاروق الفيشاوي وسهير رمزي محمود ياسين وشهيرة وحسن يوسف وشمس البارودي.

القُبلة الأولى

بدأت القبلة في السينما المصرية مع أول فيلم روائي في تاريخها، كما ذكر أغلب المؤرخين وهو «ليلى»

لعزيـزة أمـير عـام ٢٧، بـل إن الفيلـم التـالي مبـاشرة حمـل عنـوان « قُبلـة في الصحـراء» للمخـرج إبراهيـم لامـا، وقـد حافظـت القُبلـة عـلى الطابـع الرومانـسي الـبريء في الأفـلام المصريـة، حـتى بـدأ تقديمهـا بشـكل أكـثر جـرأة في أواخـر الأربعينيـات مـن خـلال فيلـم « فتنـة « عـام ٤٨ للمخـرج محمـود إسـماعيل، الـذي قـدم قبلـة سـاخنة بـين كاميليـا ويحـيى شـاهين، كمـا ذكـر الناقـد محمـود قاسـم، لتسـتمر أفـلام الخمسـينيات والسـتينيات في الخـروج عـن الشـكل الرومانـسي الـبريء للقُبلـة، مـن خـلال مشـاهد قدمهـا مخرجـين مثـل حسـن الإمـام في «بـين القصريـن، ٦٢» و«زقـاق المـدق، ٦٣» وحسـام الديـن مصطفـى في «السـمان والخريـف، ٦٧ « وحسـين كمـال في « أبي فـوق الشـجرة».

في السـبعينيات بلغـت القُبلـة ذروة الجـرأة في الأفـلام المصريـة، وطغـى عليهـا الشـكل الحـسي الـذي كان متعمدًا في بعـض الأحيـان للجـذب الجماهـيري مثـل «المذنبـون، ٧٥» لسـعيد مـرزوق «ولا يـزال التحقيـق مسـتمرا، ٧٩» لأشرف فهمـي. في الثمانينيـات اسـتمر تقديـم مشـاهد الحـب في أفـلام يوسـف شـاهين «حدوتـة مصريـة، ٨٢» ومحمـد خـان «أحـلام هنـد وكاميليـا، ٨٨» وعاطـف الطيـب «قلـب الليـل، ٨٩» كمـا ظهـر في تلـك الفـترة مـا سـمي

بأفلام المقاولات التي كان يتم تنفيذها بتكلفة رخيصة وقصص مستهلكة مزدحمة بالقبلات بداعٍ وبدون داعٍ كجزء من مقادير الخلطة المطلوبة لترويج تلك الأفلام، خصوصًا في دول الخليج التي كانت تُصنع لها تلك الأفلام خصيصًا قبل ظهور الفضائيات والإنترنت.

نجوم التمثيل والدعوة

سنة ٩٨ صعد جيل جديد من النجوم إلى الصف الأول، مثل هنيدي وعلاء ولي الدين وأشرف عبد الباقي بدفع من منتجين عملوا على توجيه أفلامهم للجمهور العائلي، بما سمي وقتها بـ «السينما النظيفة»، أي الخالية من القبلات والمشاهد الساخنة مثل «صعيدي في الجامعة الأمريكية، ٩٨» للمخرج سعيد حامد و«بلية ودماغة العالية، ٢٠٠٠» لنادر جلال، وغيرها من الأفلام التي حققت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا، أدّى إلى رواج تلك الموجه بشكل قضى على وجود القبلة في الأفلام، واتجاه المنتجين إلى تحريمها على المخرجين ابتغاء مرضات الجمهور العائلي، الذي لن يُقبل على مشاهدة الفيلم إذا ما تضمنت أحداثه مشهدا لقبلة عاطفية، على اعتبار أنها بقعة ستصبح بسببها السينما «غير نظيفة».

بداية الألفينيات لم تشهد ولادة نجوم في التمثيل

فقط، بل في الدعوة أيضًا ممن أسهموا في زيادة النفور من تحرر الفنون، كان أبرزهم عمرو خالد وخالد عبد الله وغيرهما من تلامذة نجوم الكاسيت الإسلامي، أمثال أنيس عبد المعطي وأحمد القطان ثم عمر عبد الكافي ووجدي غنيم، حيث اتسمت خطاباتهم بالحدة تجاه الفن، الذي وصفوه بأنه عهر وكفر.

الجيل الجديد من الدعاة قدم في خطابه شكلا أقل حدة في الظاهر وأكثر مناسبة لأبناء الشرائح العليا من الطبقة الوسطى والأغنياء الجدد، على حد تعبير الكاتب وائل لطفي في كتابه «ظاهرة الدعاة الجدد » فطرحوا نموذجًا للتدين بلا خسائر، فلا مانع أن تمارس الفتيات كافة أنواع الرياضة مثلًا مع الالتزام بالزي الشرعي أو حضور الأفلام في السينما طالما خلت من مشاهد العري والقبلات، في إفراز مكرر ولكنه أكثر جاذبية لرؤية المؤسسات الدينية التقليدية في مصر، التي عبر عنها الدكتور عبد المعطي بيومي عميد كلية أصول الدين السابق بجامعة الأزهر قائلا «إنّ القُبلة أصلها حرام في العلاقات الفنية، إذ لا يجوز استخدام القبلة ولا يوجد شيء اسمه الضرورة الدرامية».

التأثير الكبير لدعاة تلك المرحلة ضاعف من حجم الإدانة الدينية للمشاهد العاطفية في السينما، التي

هاجموها بشكل مباشر ضمن تصوراتهم الخاصة عن أسلمة الفنون ومحاولتهم تفصيل نموذج للتدين يناسب الشرائح التي استهدفوها، وهي الأعلى اجتماعيًّا وثقافيًّا وماديًّا، لإقناعهم أن قرار التدين لن يحرمهم من متع الحياة، لكنه فقط سيضيف إليها بعض الرتوش حتى يرضى عنها الله. والمفارقة أن أحد أهم من ساعد معظم هؤلاء الدعاة في التأثير على العقلية المصرية كان مؤسسة فنانة اعتزلت وتحجبت هي ياسمين الخيام، مما رسخ بشكل غير مباشر لفكرة أسلمة الفنون وتنقيتها -حسب تعبيرهم- من المخالفات الدينية.

شاهدٌ من أهلها

رقابة المجتمع الذي شارك في إحيائها هذا التيار اعترف بوجودها علي أبو شادي الرئيس السابق على المصنفات الفنية، في حوار نشرته مجلة « الفن السابع « عام ٢٠٠٠، مؤكدًا أنها تلعب دورها على جهاز الرقابة الرسمي وعلى المبدعين، ليضيف أن معظم الأزمات التي واجهها كرقيب كان مصدرها الاتجاهات المحافظة، وهو ما أيّده الدكتور مدكور ثابت الرئيس التالي للرقابة، واصفًا قوى التطرف بأنها رقابة على الرقابة وأنها موازية لها.

وبالعودة لأول قانون المصري للرقابة، الذي وضعته

وزارة الشئون الاجتماعية عام ٤٧، سنجد أن المادة الثانية المتعلقة بالجنس تنص على أن: « تستبعد المعانقات والقبلات التي تتعدى حد العاطفة العادية إلى درجة الشبق، وكذا الأوضاع الصارخة التي تثير الغرائز الدنيئة « وبغض النظر عن المقصود من تعبير «الغرائز الدنيئة»، إلا أن قِدَم ظهور القبلة في الأفلام المصرية أدى إلى اعتبارها من الأساسيات التي لا يمكن منعها، ولكن فقط وضع إطار أخلاقي غامض تجاوزته السينما تدريجيًّا كما سبق وذكرنا، وتجاوزته إمكانيات عصر أتاحت الوصول بمنتهى السهولة لكل ما يتم منعه عن طريق مئات الفضائيات والمواقع الإلكترونية، وهو ماطالب به الدكتور مذكور ثابت نفسه، بأن نتحول من رقابة الإبداع إلى رقابة على شئون الإبداع، مثل حقوق الملكية الفكرية والقرصنة، وأن نطبق معايير علمية واضحة تصنف الأفلام حسب المناسب لكل فئة عمرية من الجمهور دون محاولة منع أو تشويه عمل فني.

مسحوق الفكر الوهابي

يقول الناقد محمود قاسم «القُبلة هي حلقة الوصل الأساسية في الحب بين النظرات وبعض اللمسات الرقيقة وبين اكتمال الدائرة من تلامس حسي لأجزاء الجسم،

والحب الكامل يقوم على أساس أن دائرته تكتمل فوق الفراش والقبلات ليست سوى الخطوات التمهدية من أجل إتمام الدائرة».

لكن الدائرة لم تعد تُرسم من الأساس، لأن مسحوق الفكر الوهابي الرائج حتى الآن أدى إلى إبادة القبلات في الأفلام المعروضة على معظم الفضائيات سواء كانت خليجية أوغير خليجية، إعتبرت أن القبلات تدخل ضمن دائرة الجنس، والذي لم يكن ملعونًا ومحظورًا ومطاردًا في أي عصر من عصور الأمة الإسلامية كما هو الحال اليوم، على حد تعبير الناقد عصام زكريا، حيث أن معظم الفنانات المصريات قاموا بتأدية تلك المشاهد على مدى تاريخ السينما، في الخمسينيات فاطمة رشدي وراقية ابراهيم ومديحة يسري، وفي الستينات سعاد حسني ونادية لطفي وهند رستم ومريم فخر الدين، وفي السبعينيات نجلاء فتحي وميرفت أمين ومديحة كامل وسهير رمزي، وفي الثمانينيات نبيلة عبيد ويسرا وليلى علوي وإلهام شاهين، في حين أن عددًا كبيرًا من الممثلات لازلن يرفضن آداء القبلة في وقتنا الحالي، أو يمتنعن عن آدائها بعد الزواج والإنجاب منعا لإحراج أسرهن، وهو ما صرحن به علنًا، وأدّى إلى لجوء بعض المخرجين إلى فنانات غير مصريات لمنحهم الأدوار

تضمنة مشاهد القبلات، في حالة إصرار المخرج على
دم حذفها، قبل أن يظهر جيل جديد من الممثلات
صريات في الأعوام الأخيرة ممن يقبلن آداءها، مثل
ا شيحة وياسمين رئيس ونجلاء بدروناهد السباعي.

حجام عن تأدية المشاهد العاطفية لم يقتصر على
نانات، بل إن بعض النجوم الرجال فضّلوا عدم
يتها أيضًا نتيجة استسلامهم لظغط مجتمع يعتنق
ذا الفكر ولا يُحسن الفصل بين ما يقدمه الفنان على
شاشة وأخلاقياته أوقناعاته الشخصية، مثلما حدث
ع النجم العالمي عمر الشريف، الذي واجه هجومًا
اريًا بسبب تقبيله للممثلة والمغنية الشهيرة باربرا
تايسند Barbra Streisand ضمن أحداث فيلم فتاة
جة «Funny Girl٦٨، » وصلت إلى الحد الذي طالب
ه البعض بسحب الجنسية منه بحجة قيامه بتقبيل
ثلة يهودية! بل إن الممثلة سميرة أحمد اعترفت في
وار نُشر بجريدة « الشرق الأوسط « بأنها تخاف جدًا
ن آداء القُبلة في الأفلام مؤكدة: « الجمهور في أحيان
ـيرة لا يصدق أن هذا تمثيل، وقد كنت أخاف على
معتي للغاية»، وهو ما كشفت عنه الممثلة سهير
ـزي من أن قبلاتها في فيلم « المذنبون، ٧٥» شكلت
ضغوطًا اجتماعية حاصرت حياتها الخاصة، مما أدى في

النهايـة إلى طلاقهـا.

مـا ذكـره الناقـد عصـام زكريـا يتضـح أكـثر إذا مـا اكتشـفنا أن مشـاهد الغـرام والقبـلات صوّرتهـا المجتمعـات العربية عـلى مـدى عصورهـا تصويـرًا دقيقًـا وشـديد الإثـارة، مـن خـلال أدبيـات وأشـعار كانـت هـي الفـن الوحيـد المتـاح للتعبـير عـن العاطفـة والأفـكار دون مصـادرة أو مطـاردة لأصحابهـا، الذيـن لـم يكتفـوا بذلـك، بـل أفاضـوا في التغـني بالخمـر ومحاسـن الغلمـان والجـواري، مثـل امـرؤ القيـس وعنـترة بـن شـداد وأبـو نـواس، الـذي كان يحفـظ النـاس أشـعاره في العـراق ومـصر والشـام، ممـا دفـع الأديـب طـه حسـين أن يصفـه بـ «لسـانهم الصـادق»، بـل إن الشـاعر العـذري جميـل بـن معمـر «جميـل بثينـة» اعـترف بـأن التقبيـل مـن أساسـيات الحـب العـذري الـذي يُمـارَس كسـلوك طبيعـي، وهـو مـا يعكـس آفـاق ومـدارك المجتمـع العـربي قبـل ظهـور مسـحوق الفكـر الوهـابي.

السينما المصرية والإثارة، محمود قاسم

أفكار مهَدَّدَة بالقتل، إبراهيم عيسى

ظاهرة الدعاة الجدد، وائل لطفي

الرقابة على السينما القيود والحدود، حسين بيومي

أغاني بيرم التونسي




عكس الاتجاه
جموح الإبداع السينمائي



أفلام في حلبة السينما

قبل أن تتساءل عن علاقة الرياضة بالسينما، ربما من المهم أن أذكرك بفيلم أحدث انقلابًا في معايير السينما في أمريكا والعالم هو (روكي Roky)، الذي جعل من بطله سلفستر ستالوني Sylvester Stallone واحدًا من أشهر وألمع نجوم السينما، بعد أن كان ممثلًا مغمورًا، ومفلسًا اضُطر لبيع كلبه، وهو أحب مايملك إلى قلبه، بمبلغ ٢٥ دولار ليوفّر ما يسد به جوعه.

روكي، حلم ممثل وملاكم

من مباراة ملاكمة بين محمد علي كلاي وتشك ويبنر، استلهم ستالوني فكرة سيناريو، كتبه في غضون أيام، وأسماه «روكي»، لترفضه معظم شركات الإنتاج، التي أكدت باستحالة إقبال الجمهور على مشاهدة فيلم عن الملاكمة، ليستمر الممثل المغمور في البحث عن شركة توافق على إنتاج الفيلم، وقيامه بدور البطولة وليس فقط شراء السيناريو، ينجح في إقناع إحدى الشركات عام

٧٦ بأن تضع ميزانية مليون دولار فقط لإنتاج الفيلم الذي ينجح في تحقيق أرباحًا تزيد عن ٢٠٠ مليون دولار، حاصدا جوائز الأوسكار عن الإخراج، والفيلم الأفضل، ويُرشح ستالوني لجائزة أفضل ممثل، ومؤلف سينمائي، وهو ما أدّى إلى إنتاج ٥ أجزاء أخرى كان آخرها " Rocky Balboa" عام ٢٠٠٦.

تحوّل روكي منذ عرض الجزء الأول إلى أيقونة عالمية، تكتسي بصوره جدران غرف الشباب في كل مكان في العالم، وليس في أمريكا فقط، ربما يكون المفتاح الأول لحل ذلك اللغز هو اعتماده على رياضة قائمة على المكون الرئيسي للدراما وهو الصراع، حيث يقول الكاتب الأسباني «لاجوس أجري» إن الملاكمة، وجميع ألوان الرياضة التي يتنافس فيها المتنافسون هي صراع كلها، إذ يفسر ذلك قائلًا إنها قائمة على هجوم وهجوم مضاد، وما يزيد الأمر إثارة، أن يكون الصراع بين خصوم متساويين في القوة على حد تعبير «أجري». إلّا أن الصراع البدني لا يمثل صراعًا دراميًّا، لأنه ليس صراعًا بين إرادتين، بل بين جسمين، وهو ما يوضحه أستاذ الدراما الراحل الدكتور عبد العزيز حمودة، فالإرادة والرمزية هي التي تضفي على الصراع الدائر على الشاشة سحر، وشغف المتابعة للمشاهد، مثل

الصراع بين الإنسان والحيوان في فيلم «الفك المفترس ٧٥»، Jaws و"King Kong ٢٠٠٥" أو بين الإنسان والطبيعة مثل فيلم "The Revenant".

فالقضية في جولات روكي ليست كسب حزام أو ميدالية، ولكنها انتصار إرادة وقدرة بطلها على التحدي وقهر الهزيمة، وهو ما ينجح السيناريو في تجسيده عبر شحن تعاطف المشاهد الذي يتوحد تماما مع بطله الملاكم في جولته الأخيرة التي ينتهي بها الفيلم، بينما تبدأ أحداثه بتقديم شخصية الشاب الفقير روكي الحالم باحتراف الملاكمة، حيث يتحداه بطل العالم «Apollo Creed Carl Weathers» كارل ويذرز الذي يهزمه بالفعل، بعد أن يثبت روكي صمودًا عظيمًا، يحقق له إبهارًا وتقديرًا من الجميع ربما لم يكن ليحققه لو كان هو المنتصر، فقد تابعه الجمهور منذ بداية الفيلم، وشعر بمدى تمسكه بحلمه، رغم فقره الشديد، ليخوض تحديًا يتجسد في رحلة تدريب شاقة، بمصاحبة موسيقى محفزة ومعبرة، رُشِّحَ بسببها الموسيقار Bill Conti للأوسكار، كما رُشِّحَت أغنية الجزء الثالث Eye of the tiger لجائزة أفضل أغنية، محققةً شهرةً عالميةً كاسحة في ذلك الوقت، غناء فريق الروك الأمريكي الشهير Survivor.

جودة العناصر الفنية، ونسج سيناريو ذكي مغزول

بخلفيات درامية قوية لقصة إرادة قوامها التحدي والحب والمعاناة، هو ماجعل من روكي رمزًا عالميًّا للبطولة والنجاح.

التحدي وكلمة السر

لم يكن نجاح روكي قاصرا على الإيرادات فقط، بل إنه أدخل تيمة جديدة هي قصة كفاح البطل الرياضي في مجموعة كبيرة من أفلام هوليوود كان أشهرها فتاة المليون دولار "million dollar baby " عام ٢٠٠٤ الذي يدور حول ماري Hilary Swank "هيلاري سوانك" النادلة الفقيرة، التي تحلم بأن تصبح ملاكمة محترفة، حيث تنجح في إقناع فرانكي «كلينيت إيستوود Clint Eastwood» المدرب المحترف في تأهيلها، لتنجح بعد مجهود شاق ومثابرة مضنية، في أن تحقق حلمها، لكنها تتعرض لضربة قوية في إحدى مبارياتها تصاب على أثرها بالشلل التام وتقرر أن تتخلص من حياتها التي لن تستطيع تحملها دون أصوات مشجعيها من الجمهور.

فاز الفيلم بـ٤ جوائز أوسكار، هي أحسن فيلم، وأحسن إخراج لكلينيت إيستوود، وبطولة نسائية ودور ثاني رجال للنجم مورجان فريمان Morgan Freeman إضافة إلى

أكـثر مـن ١٥ جائـزة في مهرجانـات سـينمائية عالميـة، كمـا حقـق أرباحًـا تصـل إلى ٢٠٠ مليـون دولار بسـبب حرفيـة السـيناريو ورهافـة تفاصيلـه وإحـكام الـصراع الداخـلي لبطلتـه وإجـادة بـاقي أبطـال الفيلـم الشـديد لأدوارهـم.

رياضات أخرى

التحـدي والإصرار واللمسـات الإنسـانية، كانـت هـي الخلطة الـتي اتبعتهـا هوليـوود في إنتـاج أفـلام نجحـت في إضفـاء السـحر عـلى رياضـات أخـرى مثـل فيلـم «اندفـاع» Rush، ٢٠١٣ الـذي أضفـى الإثـارة عـلى أجـواء سـباق السـيارات «الفورميـلا» مسـتعرضًا الـصراع بـين بطـلي الفيلـم «جيمس كريـس همسـورث» Chris Hemsworth و"نايـكي دانيـال بـرول" Daniel Brühl، حيـث يتعـرض نايـكي لحـادث كبـير يهـدد اسـتمراره كريـاضي، لكـن إصراره يدفعـه إلى عودتـه مـرة أخـرى لحلبـات السـباق، متحديًـا منافسـه اللـدود جيمـس.

تمـيز الفيلـم بموسـيقى رائعـة نجحـت في تجسـيد روح السـبعينيات بإبهـار ملفـت كمـا عـبرت اللقطـات السريعـة بشـكل جيـد عـن روح الـصراع الدائـر بـين المتسـابقين في رياضـة، ظلـت أبعـد مـا يكـون عـن إمكانيـة تقديمهـا عـلى الشاشـة.

سـنة ٢٠٠٩ قـرر المخـرج كلينيـت إيسـتوود، أن يدخلنـا إلى عالـم رياضـة جماعيـة هـذه المـرة بفيلمـه «الحصـين Invictus "، حيـث يـروي قصـة حقيقيـة لفريـق الراكـبي الجنـوب إفريقـي، عـلى خلفيـة الأحـداث السياسـية الـتي شـهدتها البـلاد بعـد تـولي الزعيـم نيلسـون مانديـلا الرئاسـة، وكيـف نجحـت الرياضـة في تحقيـق مـا فشـلت فيـه السياسـة، فقـد توحـد الجماهـير عـلى هـدف واحـد، هـو دعـم فريقهـم المفضـل الـذي اسـتطاع أن يصـل إلى كأس العالـم عـام ١٩٩٥.

الاختيـار الـذكي للحظـات المباريـات وتوظيفهـا دراميًـا لشـد أوتـار الإيقـاع بالفيلـم، دون اسـتخدام مفـرط أو غـير مفيـد لعمـل مفـترض أن يظـل سـينمائيًا دراميًـا بالدرجـة الأولى، الأمـر الـذي نفـذه وبنفـس الحرفيـة مـع السياسـة، لينتـصر «الحصـين Invictus» للدرامـا والبعـد الإنسـاني الـذي قـرر صُنّاعـه أن يضيفـوا لـه مـا يحقـق الجاذبيـة والإيقـاع اللاهث فقـط، حيـث يبـدأ الفيلـم بجماهـير جنـوب إفريقيـا السـود، الذيـن يشـجعون الفريـق الإنجلـيزي ضـد فريـق بلدهـم لأن لاعبيـه مـن البيـض، لينتهـي باسـتضافة البـلاد لبطولـة العالـم، حيـث يتوحـد عنـصري الأمـة مـن السـود والبيـض، في أجـواء المبـاراة الرياضيـة الأخـيرة السياسـية في

الواقع، والإنسانية في الحقيقة من خلال فيلم، برع فيه مورجان فريمان في تجسيد دور الزعيم الملهَم نيلسون مانديلا، ومات ديمون Matt Damon، في دور فرانشز كابتن الفريق، حيث حقق الفيلم نجاحًا معقولًا بلغ١٢٠ مليون دولار كما تم ترشيح بطليه لجائزة الأوسكار.

كواليس مثيرة أيضًا

تيمة جديدة يعتمد عليها فيلم «كرة المال» Moneyball، ٢٠١١ وهي المخاطرة، يفشل مدرب فريق البيسبول بيلي «براد بيت» Brad Pitt في شراء لاعبين جدد بسبب ضعف الموارد المادية لفريقه مما يضطره إلى إجراء حسابات رقمية مبتكرة مخاطرًا بكل النتائج الممكنة على حساب فكرته المجنونة، التي تفجر أجواء درامية وإنسانية مثيرة بين أعضاء الفريق المُصر على تخطي كبوة فشله، حقق الفيلم إيرادات تجاوزت ١١٥ مليون دولار، وهو مايقترب من ضعف الميزانية، كما رُشح للعديد من جوائز التمثيل والسيناريو، في الأوسكار وغيره.

كواليس الرياضة المثيرة دارت حولها أفلام أخرى، مثل "Jerry Maguire، ٩٦" الذي يدور حول معاناة بطله جيري (توم كروز) Tom Cruise في مكاتب الوكالات

الرياضيـة، مؤكـدا عـلى تيمـة التحـدي، الـتي ظلـت أساسـا لأفـلام رياضيـة أخـرى عديـدة مثـل "fever pitch ١٩٩٧" "wimbledon، ٢٠٠٤" "المصـارع "the wrestler، ٢٠٠٨ وغيرهـا.

الفيلم الرياضي المصري

في السـينما المصريـة ربمـا اسـتُخدمت الرياضـة كخلفيـة لعـدة أفـلام، مثـل فيلـم «غريـب في بيـتي، ٨٤» المأخـوذ عـن فيلـم «فتـاة الـوداع» The Goodbye Girl، والـذي دار حـول أزمـة، تـم تقديمهـا في إطـار كوميـدي للاعـب كـرة شـهير، هـو شـحاته أبـو كـف «نـور الشريـف»، دون أن يتـم توظيـف مهنتـه في سير الأحـداث أو صلـب الموضـوع، بحيـث لـو كان كاتبًـا أو ممثـلًا مشـهورًا مثـلًا، لـم تكـن لتتأثـر أزمـة الفيلـم، الـذي كان مـن المفـترض أن يقـوم ببطولتـه محمـود الخطيـب، بوصفـه لاعـب كـرة القـدم الأشـهر في ذلـك الوقـت، إلّا أن مخـرج الفيلـم سـمير سيف قـرر إسـناد الـدور لنـور الشريـف.

ربمـا يكـون «النمـر الأسـود، ٨٢» لعاطـف سـالم، هـو أول فيلـم مـصري يقـدم سـيرة بطـل ريـاضي حقيقـي، هـو محمـد حسـن الـذي كان يعمـل خراطًـا في مـصر، ثـم سـافر لألمانيـا ليصبـح بطـلًا في الملاكمـة، حيـث التقـى بالصحفـي

أحمد أبو الفتح، الذي استمع إلى قصته، فقرر كتابتها للسينما في فيلم يُخرِجه عاطف سالم، وبطولة النجم أحمد زكي والوجه الجديد وفاء سالم في أول أدوارها التمثيلية.

حقق الفيلم نجاحًا مدويًا، إذ مزج بين قصة كفاح محمد حسن الشاب المصري، الذي هاجر فقيرًا عاطلًا، وكيف أنه تحدى صعوبات الغربة واللغة، ليحقق المال والشهرة والإنجاز الرياضي.

إنه إصرار البطل من جديد، والروح المستلهمة ربما من فيلم « روكي»، في تجسيد رحلة كفاح البطل وتدريبه، خاصة في تلك المشاهد التي جاء في خلفيتها أغنية «اتقدم» الشهيرة، التي كتبها عبد الرحمن الأبنودي، ولحنها جمال سلامة، وشدى بها المطرب أحمد إبراهيم.

في عام ٢٠٠٨، قدم المخرج وائل إحسان فيلم «حلم العمر»، مجسدًا كفاح البطل الفقير أحمد مانو «حمادة هلال» الذي يسعى لتحقيق حلمه في أن يصبح بطلا في الملاكمة، متحديا الفقر والظروف المحيطة به، مستعرضًا الصراع الاجتماعي في خلفية الصراع الرياضي، بين البطل واللاعب أكرم «رامي وحيد»، الذي ينازعه

على قلب حبيبته نور «دينا فؤاد» إلى أن يقتلها خطًا، بعد مطاردته لها بالسيارة، مما يُحمل الصراع بين أحمد وأكرم أبعادًا جديدة، تصب في مصلحة التعاطف مع البطل، فالصراع الآن لم يعد طبقيًا، ولكنه تحديًا للظلم المتسلح بالمال والسلطه، وهو مايفسر اختيار الغريم أكرم كظابط شرطة في الأساس، لشحن عاطفة شرائح اجتماعية أوسع في صف البطل.

نجح الفيلم في تحقيق إيرادات جيدة وقتها، لجودة الإخراج، وسخاء الإنتاج «١١ مليون جنيه»، بالإضافة إلى اختيار نوعية صراع جذابة للمشاهد المصري، رغم كونها تقليدية، كما بدى الشكل الجسماني والأدء التمثيلي لبطل الفيلم حمادة هلال مقنعًا، خاصة وأنه تعامل مع الفيلم على أنه ممثل وليس مطرب، فلم يؤدي سوى أغنية واحدة فقط كخلفية للأحداث، كما ساهم آداء القديرة هالة فاخر، والمتمكن توفيق عبد الحميد في رفع جودة الآداء التمثيلي في الفيلم.

إخفاق وتكرار

جاء فيلم «العالمي، ٢٠٠٩» بصفته الفيلم المصري الثالث، والأخير الذي قدّم كفاحًا رياضيًا من خلال شخصية مالك «يوسف الشريف»، الذي يسعى أيضا

لتحقيـق حلمـه، بـأن يصبـح لاعـب كـرة قـدم محـترف، حيـث قـدم الفيلـم درامـا أقـل طزاجـة، وجـودة مـن سـابقه، افتقـر فيهـا إلى إيجـاد مـبرر مقنـع للعـداء بـين بطـل الفيلـم، وبـين عمـر الصـاوي «محمـد الشـقنقيري»، كمـا لـم يقـدم الفيلـم أجـواء اللعبـة المثـيرة، أو نجـح في ربطهـا بإطـار درامـي شـيق ينجـح في جـذب المشـاهد.

لـم يتمـيز رسـم شـخصيات الفيلـم أيضًـا أو آداء أي مـن ممثليـه، باسـتثناء «يوسـف الشريـف» الـذي قـدّم دوره بسلاسـة، كمـا لعبـت لياقتـه البدنيـة الجيّـدة دورًا في إقناعـه لمُشـاهد الفيلـم، الـذي كان يحتـاج إيجـاد مـبررات أقـوى لأبطالـه، واسـتغلال المباريـات الرياضيـة بشـكل أكـثر ارتباطًـا بالدرامـا، لمحـاكاة تيمـات هوليـوود الشـيقة، الـتي صاغتهـا سـينمائيًا عـن أبطـال رياضيـين حقيقيـين أو خياليـين، فهـل سـتكرر السـينما المصريـة التجربـة، وتنجـح في اسـتغلال قصـص نجـاح أبطالهـا الرياضيـين، في تقديـم أفـلام جذابـة ومختلفـة ؟

• البناء الدرامي، دكتور عبد العزيز حمودة.

• روائع النجوم، محمود معروف.

• فن كتابة المسرحية، لاجوس أجري.

حيوانات أشهر من بني آدم

ظلت مباريات المصارعة بين الإنسان والحيوانات المفترسة تقدّم في عصور الرومان، إلى أن هذّبتها فنون السيرك، التي فرغتها من الطابع الدموي، وحولتها إلى عروض مرحه قائمة على استعراضات راقصة، وحركات بهلوانية تثير الضحك لدى الجمهور، وإن لم تتخل بعض الثقافات عن الطابع الوحشي لبعض العروض، كمصارعة الثيران التي لا تزال تقدم حتى الآن في إسبانيا، كنوع من الترفيه ضمن مصالح أخرى، قدمتها الحيوانات للإنسان منذ عصوره الأولى كالتنقل، الصيد، والتنبؤ بالزلازل، إلى أن قررت البشرية رد الجميل، ومنح فرص الإبداع التمثيلي لحيوانات حالفها الحظ في بطولات أفلام سينمائية، حققت من خلالها شهرة كاسحة نافست بها أهم النجوم والنجمات (البشر) في العالم.

شيتا Cheeta

« وفـاة شـيتا عـن عمـر يناهـز ٨٠ عامـا بعـد إصابتهـا بالفشـل الكلـوي » كان هـذا هـو العنـوان الأكـثر تـداولا في ديسـمبر ٢٠١١، عـبر الصحـف ووكالات الأنبـاء العالميـة، الـتي لـم تكـن في حاجـة لتذكـير القـراء، بـأن شـيتا هـو قـرد سلسـلة أفـلام طـرزان للنجـم جـوني ويسـمولر Johnny Weissmuller، الـتي حققـت نجاحًـا عالميًـا سـاحقًا، حـوّل شـيتا إلى نجـم سـينمائي يتابـع الجمهـور أخبـاره، ويطالـع صـوره حـتى بعـد « اعتزالـه» في سـن السـتين، وانزوائه داخل إحـدى ملاجـئ الحيوانـات بولايـة فلوريـدا الأمريكيـة، الـتي قـضى بهـا سـنواته الأخـيرة، وكيـف كان يتنـاول إفطـاره في التاسـعة صباحـا، بعـد إعطائـه جرعـة الأنسـولين، لإصابتـه بمـرض السـكر ثـم يقـضي يومـه بـين ممارسـة كـرة القـدم، والاسـتماع للموسـيقى، ورسـم اللوحـات، الـتي كان يتـم بيعهـا بعـد إضافـة بصمتـه أسـفلها.

رغـم عـدم وجـوده ضمـن شـخصيات القصـص الأصليـة لطـرزان، الصـادرة عـام ١٩١٨ للمؤلـف إدجـار رايـس بوروس Edgar Rice Burroughs، الـتي أُخـذ عنهـا الفيلـم، إلا أن شـيتا نجـح في تحقيـق نجوميـة غـير مسـبوقة، منـذ ظهـوره الأول عـام ١٩٣٤، في فيلـم « طـرزان ورفيقتـه "Tarzan and His Mat، للمخـرج الأيرلنـدي البـارع سـيدريك جيبونـز

Cedric Gibbons، مما دفع مخرجي الأجزاء التالية إلى اعتباره بطلًا رئيسيًا مع طرزان، حيث شاركه بطولة ١٢ جزءًا بالإضافة إلى حلقات تليفزيونية، كان يتم توفير أكثر من دوبلير (بديل)، في كواليسها لأداء المَشاهد التي لن يستطيع شيتا تأديتها.

القرد اللامع الذي مُنح نجمة ذهبية، تحمل اسمه في ممر بالم سبرنجز للمشاهير بفلوريدا Palm Springs Walk of Stars، لم يكن ذكاءه أو طرافة مفارقاته أمام الكاميرا، هي الأسباب الوحيدة التي حققت له كل تلك الشهرة، الأهمية الدرامية لدوره في سياق أحداث سلسلة الأفلام الشهيرة، كانت سببًا أساسيًا في أن يتعلق به الجمهور، الذي فوجئ لأول مرة بحيوان، يقوم بأداء دور فعال يؤدي غيابه إلى خلل في سياق الأحداث، مثل إنقاذه حياة طرزان في جزئه الأول، وتطبيبه له حتى استرد عافيته.

لاسي Lassie

إثارة العاطفة وإضفاء البعد الإنساني للقصة، عوامل أساسية منحت الشهرة الواسعة للكلبة Pal، بعد آدائها لدور لاسي في فيلم «لاسي عودي للمنزل، ٤٣ Lassie Come Home » للمخرج فريد ويلكوس Fred M. Wilcox،

عن رواية حملت نفس الاسم للمؤلف الإنجليزي إريك نايت Eric Knight، جسدت وفاء الكلبة لاسي، التي فارقت صديقها الطفل جوي بعد أن اضطرت أسرته لبيعها، نظرًا لحاجتهم إلى المال، قبل أن تنجح في العودة إلى صديقها، بعد خوضها رحلة شاقة مليئة بالمصاعب، واجهت خلالها كلابًا شرسة وعواصف عاتية.

حقق الفيلم نجاحًا جماهيريًا كبيرًا، وتجاوزت أرباحه ٧ أضعاف ميزانيته، مما دفع ستديو مترو جولدن ماير إلى إنتاج ٦ أفلام أخرى، لعبت فيها لاسي الشخصية المحورية في الأحداث، وسبق اسمها على الأفيشات الدعائية الخاصة بها أسماء كبار نجوم هوليوود، الذين شاركوها البطولات مثل إليزابيث تايلور Elizabeth Taylor، ودونالد كريسب Donald Crisp، كما قدمت لاسي للإذاعة حلقات ناجحة عام ٤٧، وللتلفزيون مسلسلات تم منحها جائزة إيمي الشهيرة، مرتين عامي ٥٤ و٥٦.

الإبداع والإفلاس

إعادة تقديم الشخصيات الشهيرة في أعمال فنية، لاستثمار نجاحها التجاري واستغلال ارتباط الجمهور بها هي إحدى مفردات حرفية الصنعة السينمائية الهوليوودية، التي تُحسن تجديد البريق لهذه

الشخصيات، وضخ الدماء مرة أخرى في عروق نجوميتها، عن طريق أفكار جديدة، وإمكانيات أكثر تطورا، ومن ثم تحويلها إلى أيقونات عالمية بمساعدة الإعلام، على عكس مايحدث في مصر من ضياع فرص استغلال الكثير من الشخصيات الفنية، التي كان يمكن استثمار نجاحها عربيا وعالميا، مما أدى إلى اندثارها بسبب غياب الرؤية والأفكار، باستثناء تجارب محدودة لم تسلم من اتهامات مبدعيها بالفقر الإبداعي والإفلاس الفني، لمجرد إقدامهم على إعادة تقديمها في أعمال أخرى.

عام ٥٨ توفيت الكلبةPal، أول من أدّت شخصية لاسي، التي أبقتها هوليوود حاضرة عن طريق الاستعانة ببدائل شبيهة، لتقدم الشخصية التي استمر إنتاج أعمال فنية تليفزيونية جديدة لها، طوال فترة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، بلغت ١٣ موسمًا، كما تم إنتاج ٣ مواسم في الألفينيات، وفي عام ٩٤ عادت لاسي للسينما مرة أخرى، لتختتم مشوارها الفني عام ٢٠٠٤ بفيلم يحمل اسمها، بمشاركة النجم الكبير بيتر أوتول Peter O›Toole، والممثلة الإنجليزية سامانثا مورتن Samantha Morton. لاسي تم منحها نجمة تحمل اسمها في ممر الشهرة الرئيسي في هوليوود Hollywood Walk of Fame، ضمن أكثر من ٢٠٠٠ نجمة، مُنحت لألمع نجوم

هوليـوود مـن البـشر، ونجمتـين لزميليهـا الكلبـين رن تـن تـن Rin Tin Tin وسـترونجيرت Strongheart، اللذيـن تفوقـت عليهمـا لاسي في امتـداد النجوميـة، والحضـور الفـني حـتى التسـعينيات والألفينيـات.

كيكو Keiko

الصداقـة، الوفـاء، الانتصـار للحـب والحريـة، مقابـل الـصراع والكراهيـة، قيـم إنسـانية كانـت دائمًا هـي سر نجاح عـدد كبـير مـن الأفـلام، الـتي قدمتهـا هوليـوود، ولعبـت بطولتهـا مجموعـة متنوعـة مـن الحيوانـات، بالإضافـة إلى عنـاصر أخـرى بالطبـع، مثـل سلاسـة الطـرح وطرافـة المفارقـات وحسـن اختيـار وترويـض الحيوانـات المختـارة، لبطولـة تلـك الأفـلام الـتي نجحـت في اسـتقطاب الجمهـور مـن الكبـار أيضًـا، وليـس الأطفـال فقـط، في فيلـم «ويـلي حُـر، ٩٣ Free Willy » للمخـرج سـايمون وينـسر Simon Wincer، تنشـأ صداقـة عذبـة بـين الطفـل جيـسي والحـوت الصغـير ويـلي، المحبـوس في متـنزه يعمـل بـه صديقـه الـذي يلاحـظ ذكاءه وموهبتـه، ممـا يشـجعه عـلى تدريبـه وقضـاء أوقـات طويلـة مـن المـرح معـه، إلى أن تتدخـل سـلطات المتـنزه وتبـدأ في مطـاردة الحـوت الصغـير لقتلـه، لكنـه ينجـح في الهـرب نحـو المحيـط، بمسـاعدة صديقـه الـوفي جيـسي. كيكـو Keiko هـو الاسـم الحقيقـي للحـوت

ويـلي الـذي حقـق شـعبية كبـيرة، نتـج عنهـا مطالبـات بتحريـره مـن حيـاة البحـيرات الصناعيـة في الواقـع أيضًـا، وإعادتـه إلى المحيـط، وهـو ماتـم بالفعـل عـام ٩٨، حيـث تـم نقلـه عـبر طائـرة خاصـة، إلى البحـر قـرب أيسلندا، إلّا أن وسـائل الإعـلام ظلـت تتابع أخبـار كيكـو، وتوافيهـا لجمهـوره وعشـاقه حـول العالـم، حـتى شـوهد قـرب الميـاه النرويجيـة عـام ٢٠٠٢ منعـزلًا عـن أقرانـه مـن الحيتـان، مفضـلًا عليهـم البـشر، بحثًـا عـلى الأرجـح عـن صديقـه وشريـك فيلمـه جيـسي "الممثـل جاسـون ريشـتر Jason James Richter"، ليتـوفى الحـوت الشـهير بعـد سـنة واحـدة عـن ٢٦ عامًـا.

تالي Tale

في عـام ٢٠١١ تـم اسـتلهام قصـة ويـلي، لإنتـاج فيلـم جديـد بطلـه دولفـين هـذه المـرة، بعنـوان «حكايـة دولفـين Dolphin Tale»، للمخـرج شـارلز مارتـن سـميث Charles Martin Smith، وبطولـة هـاري كونيـك Harry Connick Jr، والنجـم مورجـان فريمـان Morgan Freeman، حـول الدولفـين تـالي، الـذي يفقـد ذيلـه إثـر وقوعـه في مصيـدة، قبـل أن يتـم إنقـاذه ونقلـه إلى المستشـفى، حيـث يلتقـي بالطفـل سـاور نيلسـون Sawyer Nelson «الممثـل ناثـان جامبـل Nathan Gamble »، الـذي يحـاول مساعدته عـلى

تماثلـه للشـفاء، وعودتـه للسـباحة تأكيـدًا لـدور الصداقـة، في تخفيـف مصاعـب الحيـاة الـتي لا بـد وأن تسـتمر في النهايـة.

أسرار النجاح

نجـاح الفيلـم في تحقيـق التوحـد العاطفـي الكامـل للجمهـور، مـع بطـلي الفيلـم الدولفـين تـالي والطفـل سـاور عـبْر رحلـة معاناة، جعلتـه فيلمًا عائليًا مـن الدرجـة الأولى، يسـتمتع بـه أفـراد الأسرة بالكامـل، فـلا لابـد وأن سـيطرت عـلى أحـد أفرادهـا مخـاوف العجـز والإعاقـة والوحـدة، الـتي يواجههـا الدولفـين المصـاب، قبـل أن يلتقـي صديقـه سـاور، الـذي يسـاعده في تخطـي أزمتـه، بالرغـم مـن أنـه لـم يتجـاوز ١١ عامًـا، مما أضفـى المزيـد مـن المصداقيـة، باعتبـار الأطفـال هـم الأكـثر قـدرة عـلى العطـاء غـير النفعـي، كمـا ينجـح فريـق المستشـفى في صناعـة ذيـل صناعـي للدولفـين تـالي، الـذي يعـود في جـزء ثـانٍ للفيلـم بنفـس الاسـم عـام ٢٠١٤، بمشـاركة فريـق العمـل ذاتـه، محققًـا نجاحًـا جماهيريًـا كبـيرًا، مُنـح عـلى إثـره جائـزة أفضـل آداء لحيـوان مـائي.

نجـاح الأفـلام السـابقة وغيرهـا، دفـع السـينمائيين إلى إبـداع تيمـات مشـابهة، مثلما فعـل مبـدع هوليـوود الكبـير

ستيفين سبيلبيرج Steven Spielberg، عندما قرر إنتاج وإخراج فيلمه الملحمي «حصان الحرب، ٢٠١١ War Horse » بميزانية تجاوزت ٦٠ مليون دولار، عن رواية للأطفال من تأليف الكاتب الإنجليزي مايكل موروفوغو Michael Morpurgo، عن الحصان فائق الجمال جوي وصديقه الشجاع ألبرت «الممثل جيرمي إرفاين Jeremy Irvine »، الذي يتطوع في الحرب، حتى يتمكن من استرداد جوي في إدانة للحرب، التي تفرق الأحبة ويدفع ثمنها الجميع، في مجموعة رائعة من المشاهد الملحمية، التي أبدعها سبيلبيرج، خاصة مشهد إنقاذ جوي في ساحة الحرب، بعدما كفّ الطرفين عن القتال، في إشارة إلى قدرة الحب على هزيمة العداء والكراهية.

أنجلينا جولي القرود

«أنا أيضًا حصلت على الأوسكار»، ربما أراد لسان حالها أن يردد تلك الجملة للعلن، فور منحها جائزة Pawscar، التي توازي جائزة الأوسكار، تقديرا للمشوار السينمائي الحافل للقردة كريستال Crystal، الملقبة إعلاميا بـ «أنجلينا جولي القرود»، التي بدأت العمل في السينما عام ٩٧، لتتوالى أعمالها الناجحة، حتى بلغت ٢٨ فيلمًا، شاركها في بطولتها كبار نجوم هوليوود، مثل: بن ستيللر Ben Stiller، وأوين ويلسون Owen Wilson، وروبي ويليمز

Robin Williams في « Night at the Museum، ٢٠١٤»، برادلي كوبر Bradley Cooper في ٢٠١١ «The Hangover٢»، حيث خطفت من نجومه فلاشات الكاميرات، في عرضه الخاص، بفستانها الزهري الأنيق، الذي كان محط أنظار جمهور الفيلم الشهير حول العالم.

عبقرية تجسيد الخيال

جموح الأفكار الهوليوودية، لم يقتصر على ترويض الحيوانات، وتدريبها على الآداء التمثيلي أمام الكاميرا، بل امتد إلى خلق وتصنيع نماذج كاملة، عن طريق الماكيتات والرسوم المتحركة والخدع، ومنحها بطولات أفلام ضخمة، حققت نجاحات عالمية وإيرادات خيالية، لعل أبرزها كينج كونج، الغوريللا الشهيرة، التي لعبت بطولة أول أفلامها عام ١٩٣٣، من إخراج الأمريكي ميرين كوبر Merian C. Cooper، محققًا لها نجاحًا كبيرًا، تكرر عام ٧٦، في ثاني بطولاتها مع المخرج الإنجليزي جون جوليرمان John Guillermin، ليعاد إنتاجه مرة ثالثة في ٢٠٠٥، بإمكانيات هائلة وخدع متقنة، تخطت تكلفتها ٢٠٠ مليون دولار، قدمها المخرج بيتر جاكسون Peter Jackson، الحائز على الأوسكار، عن الجزء الأول من فيلم ملك الخواتم، The Lord of the Rings ٢٠٠٢، والذي ظل يحلم بإعادة إخراج كينج كونج، منذ أن

ـاهده في طفولتـه، وشـغف بالمزيـج المبتكـر بـين الإثـارة
العاطفـة والحـب، بـين الجميلـة آن دارو « ناعومـي واتـس
Naomi Watt »، والغوريلـلا الخارقـة، الـتي تـم صناعتهـا
الكامـل، وتحريكهـا بأحـدث برامـج الكمبيوتـر وهـو مـا
ـاح إنتـاج رابـع أفلامهـا Kong: Skull Island عـام ٢٠١٧
امخـرج الأمريـكي Jordan Vogt-Roberts بميزانيـة بلغـت
١٨٠ مليـون دولار محققًـا أرباحـاً تجـاوزت ٥٦٠ مليـون دولار.

ـري هوليـوود سـتيفن سـبيلبيرج، صنـع أيضًـا سـمكته
الشـهيرة بـروس Bruce، بطلـة فيلمـه «الفـك المفـترس،
Jaws ٧٥ »، مـن خـلال تنفيـذ ثلاثـة نمـاذج ضخمـة، تكلـف
ـاجهـا نصـف مليـون دولار، وهـي تكلفـة باهظـة في ذلـك
الوقـت، ممـا تسـبب في رفـع ميزانيـة الفيلـم، الـذي تحـوّل
إلى أيقونـة عالميـة لأفـلام الإثـارة والتشـويق، بعـد تحقيقـه
نجاحًـا تجاريًـا كاسـحًا، إذ تجـاوزت إيراداتـه ٤٧٠ مليـون
دولار، في الوقـت الـذي لـم تتخطـى تكلفتـه ٩ مليـون دولار
فقـط، أي أنـه نجـح في تحقيـق أرباحًـا، تجـاوزت أكـثر مـن
٥٠ ضعـف ميزانيتـه، عنـاصر عديـدة تسـتحق التحليـل، عند
الوقـوف عـلى أسـباب نجـاح هـذا الفيلـم، المأخـوذ عـن
رواية للمؤلـف الأمريـكي بيـتر بينشـلي Peter Benchley،
مثـل الموسـيقى التصويريـة وتقنيـات الصـوت وجاذبيـة
الفكـرة، إلا أن سـيطرة سـبيلبيرج الكاملـة على إيقـاع الفيلـم،

وتحكمه المذهل في خيال المُشاهد، من خلال المونتاج البارع لأقدام الضحايا السابحين أسفل الماء، واقتراب زعانف السمكة المرعبة من ضحاياها، وغيرها من اللقطات الذكية، التي نجحت في تحقيق أقصى درجات التوتر لدى المشاهدين، كان هو السبب الرئيسي الذي حقق للفيلم ذلك النجاح الباهر، الذي لم يتكرر لأجزائه التالية، لكنه تحقق لمجموعة كبيرة من الأفلام، التي جسدت شراسة الصراع بين الإنسان والحيوان، مثل" Birds، ٦٣» للمخرج الأسطورة هيتشكوك Alfred Hitchcock، Arachnophobia ،٩٠ " "لفرانك مارشال Frank Marshall، "Anaconda ١٩٩٧" للويس لاوسا Luis Llosa وغيرهم.

أشهر فأر في العالم

عبقري آخر لا يمكن تجاهل إبداعاته، عند الحديث عن حيوانات هوليوود الشهيرة، هو والت ديزني Walt Disneyأكثر الفنانين حصولًا على جائزة الأوسكار « ٢٢ مرة من بين ٥٩ ترشيح «، والذي نجح في تحويل كائن كريه مثل الفأر، إلى ميكي Mickey أشهر حيوان كارتوني في العالم، ونجم المدن الترفيهية، التي يسافر الملايين إليها، من كافة أنحاء العالم لمصافحته، والتقاط الصور التذكارية إلى جواره.

ميكي الذي فشل في تحقيق نجاحًا يُذكر عند ظهوره الأول عام ٢٨، استمر ديزني في التطوير المتواصل لشخصيته، وإدخال المؤثرات المختلفة على أفلامه، حيث كان يؤدي صوته في السنوات الأولى، كما أضاف شخصية صديقته ميني، ليبدأ في تحقيق نجاح جيد، دخل بعده الفأر المرح ذو البنطال الأحمر، إلى عالم الصحافة، التي بدأت في إنتاج قصصه المصوره، وترجمتها فيما بعد إلى عشرات اللغات، لتتخطى شهرته الولايات المتحدة بعد تصدير أفلامه وحلقاته التليفزيونية وقصصه إلى جميع أنحاء العالم. استحق ميكي أول نجمة تمنح لشخصية كارتونية في ممر المشاهير الرئيسي في هوليوود Hollywood Walk of Fame عام ٧٨، كما تم تتويجه رمزا لشركة والت ديزني حتى الآن رغم إعلانها وفاته عام ٢٠١٤ وعدم ظهوره في أعمال جديدة، الشيء الذي لم يمنع تحقيق مبيعات الدمى والألعاب والملابس والمنتجات المدرسية، التي تحمل صور ميكي لمليارات الدولارات، حتى الآن واستقبال مدن ديزني الترفيهية المنتشرة في عدد من عواصم العالم لملايين الزوار سنويًا، من الأجيال التي تربت على قصص وأفلام ميكي ورفاقه «ميني، بندق، بطوط، عم ذهب » وغيرها من حيوانات ديزني الشهيرة، التي حققت أفلامها نجاحات

عالمية هائلة مثل «الأسد الملك، ٩٤ The Lion King » و»البحث عن نيمو، ٢٠٠٣ Finding Nemo" وغيرهما.

حيوانات سنّيدة

لم تمنح السينما المصرية الشهرة والنجومية لغير البشر، رغم ظهور الحيوانات في عدد كبير من أفلامها، التي لم تؤدي من خلالها أدوارًا محورية، رغم أهميتها أحيانًا في سير الأحداث، مثل إنقاذ الحصان لعلية «ماجدة» من الموت، وانتقامه من الزوج المتسلط عزيز «زكي رستم »، في فيلم «أين عمري، ٥٧» للمخرج أحمد ضياء الدين، وقتْل الثور لشفاعات «تحية كاريوكا» في «شباب امرأة، ٥٧»، لصلاح أبو سيف، الذي ظل رمزا لانقياد الرجال تحت سطوتها، تلك الرمزية التي استخدمتها هاله خليل، في فيلم «نوارة، ٢٠١٦»، للتدليل على امتلاك الكلب للتعاطف والدفء، الذي يفتقر إليه أغلب البشر، وهو ما قدمه صلاح أبو سيف أيضًا، للسخرية من قسمت هانم «سناء جميل»، وطبقتها الأرستقراطية، بسبب هوسها بالكلب الخاص بها في فيلم «السيد كاف، ٩٤».

مساعدة البطل في الكشف عن الأسرار المخبّأة خلف الأحداث، من الأدوار التي أدّتها الحيوانات أيضًا في

الأقـلام المصريـة، مثـل روي الـذي قـاد البطـل أحمـد عاصـم «صالـح سـليم»، لأدلـة بـراءة حبيبته إيمـان «نجاة» مـن تهمـة القتـل، بعـد عثـوره عـلى المنديـل المدفـون في حديقـة العزبـة، والملطـخ بدمـاء القتيـل فتحـي «صـلاح سرحـان » في فيلـم «الشـموع السـوداء، ٦٢» لعـز الديـن ذو الفقـار، كمـا سـاعد القـرد سمسـم صديـق فتـوح «فـاروق الفيشـاوي»، في سرقـة المنـازل في فيلـم «القـرداتي، ٨٧» لنيـازي مصطفـى، ليبـدأ سمسـم احـتراف السرقـة بمفـرده، في مشـاهد جديـدة عـلى السـينما المصريـة، لـم تخـلُ مـن الطرافـة، الـتي قدمهـا المخـرج عـلي عبـد الخالـق في نفـس العـام، مـع النجـم أحمـد زكي أو الموظـف أنـور عبـد المـولى، المتـورط في اصطحـاب تركـة خاصـة إلى القاهـرة، مكونـة مـن معـزة وحمـار وقـرد، في فيلـم « ٤ في مهمـة رسـمية» مثلمـا تـورط خالـد» رامـز جـلال» في «كنغجـر حبنـا، ٢٠١٦ » لأحمـد البـدري، في رعايـة حيـوان الكنغـر الذي شـاهدها الجمهـور لأول مـرة في فيلـم مصـري، بينمـا قـدم شريـف البنـداري في الفيلـم المميـز «عـلي معـزة وإبراهيـم ٢٠١٧، » قصـة حـب بـين عـلي «عـلي صبحـي» والمعـزة الـتي يطلـق عليهـا اسـم حبيبتـه السـابقة نـدى الـتي يـصر عـلى معاملتهـا بشـكل خـاص يـؤدي إلى اتهامـه بالجنـون مـن قبَـل المحيطـين بـه.

في الفانتازيا، لم ينجح أحد

في فيلـم «ألـو أنـا القطـة، ٧٥» قدمـت المخرجـة مـنى الصـاوي معالجـة خياليـة، عـن مجموعـة مـن القطـط الـتي تتحـول إلى بـشر، وتحـاول مقاومـة الـشر، وهـو مـا حـاول تقديمـه أحمـد الجنـدي، مـن خـلال «الديـك في العشـة، ٢٠١١»، الـذي يـدور حـول الديـك برابر»أحمـد مـكي» حامـي حيوانـات المزرعـة مـن الذئـاب، كمـا لعـب أحمـد حلمي دور بانـدا في فيلـم «صنـع في مـصر، ٢٠١٤» لعمـرو سـلامة، وقـرد في مسلسـل «العمليـة ميـسي» للمخـرج أحمـد مناويـشي، في نفـس العـام دون أن يحقـق أي منهمـا نجاحـا يذكـر، تمامًـا كمـا فشـل «الديـك في العشـة» و «ألـو أنـا القطـة» جماهيريًـا ليـس بسـبب الاستسـهال فقـط، لكـن سـذاجة الطـرح والافتقـار للقيـم الإنسـانية البسـيطة، الـتي تثـير عاطفـة الجمهـور عـبر قصـة مقنعـة بعيـدة عـن السـطحية والافتعـال، أسـبابًا أساسـية أدت إلى عـدم وجـود نمـوذج أو Character، لحيـوان يحقـق نجـاح لاسي أو شـيتا أو ويـلي في السـينما المصريـة، الـتي لا تـزال تحتـاج إلى المزيـد مـن التمـرد والتجديـد.

أحسن ناس

على ضفاف الشهرة والثروة، ماذا دفعها إلى الانتحار، هل اكتشفت أن الأضواء المسلطة عليها، لن تخترق يومًا أعماقها المظلمة، وأن بريقها لم يُشبع روحها، أو تساعدها في أن تجد نفسها! هل تُخفي النجومية فراغًا مدمرًا إلى هذا الحد، أم أن المجد ليس ممتعًا إلى هذه الدرجة؟ ربما هو الضياع الذي عبّر عنه إيليا أبو ماضي في رائعة «الطلاسم» قائلًا: أنا لا أذكر شيئًا من حياتي الماضية، أنا لا أعرف شيئًا من حياتي الآتية، لي ذاتٌ غير أني لست أدري ماهيه.

أسطورة شبراوية باريسية

«الحياة لا تُحتمل. سامحوني» جملة مقتضبة، كتبتها على ورقة صغيرة ثم انتحرت، إنها داليدا. التي لخصت بتلك الكلمات حياة مأساوية توارت خلف ستار المجد والسحر والألق، وهو ما حاول كشفه فيلم «داليدا» للمخرجة الفرنسية ليزا أزوليوس Lisa Azuelos ابنة

المغنيـة مـاري لافوريـت Marie Laforêt وبطولـة الممثلـة وعارضـة الأزيـاء الإيطاليـة سـفيفا ألفيتـا Sveva Alviti الـتي تـؤدي ببراعـة ملفتـة دور داليـدا والممثـل الإيطـالى ريـكاردو سكامارسـيو Riccardo Scamarcio في دور مديـر أعمالهـا أورلانـدو.

يسـتعرض الفيلـم كيـف وصلـت داليـدا إلى نجـاح أسـطوري لـم يصـل في حجمـه ولا عالميتـه مطربـة عربيـة، لدرجـة أن شـيدت لهـا فرنسـا تمثـالًا وُضـع في قلـب حـي مومـار الشـهير أحـد أرقي أحيـاء باريـس، بعـد أن طـارت إليهـا مـن شـبرا أحـد أفقـر أحيـاء القاهـرة، وهنـاك غنـت، وأبدعـت، لكـن الفرصـة لـم تأتهـا إلا بعـد عامـين، حينمـا شـاهدها رئيـس شركـة إنتـاج كبـيرة تحمـس لموهبتهـا وقـرر أن ينتـج لهـا، فبـدأ النجـاح، وانطلـق المجـد، غنـت للفـرح والحـب والسـلام، جـددت روح الحيـاة في فرنسـا، ثـم تجـاوزت شـهرتها إلى أوروبـا، وتجـاوزت أكـثر فغطـت العالـم، باعـت داليـدا أكـثر مـن ٨٠ مليـون شريـط في أوروبـا والعالـم، بأكثر مـن ثمـان لغـات، وكرمهـا رؤسـاء فرنسـا وأوروبـا، ومُنحـت مئـات الأوسـمة، والاسـطوانات التكريميـة مـن جميـع أنحـاء العالـم، في أهـم مهرجانـات الموسـيقى.

صدمات وأحزان

يكشف الفيلم الذي استقبلته دور العرض المصرية في مارس مناطق حياة داليدا الخفية في غمرة كل هذه الأضواء، حيث خيم الظلام الدامس على أعماقها، وإحساسها بذاتها، إنها الدراما المكتملة في أبهى صورها والتي لا تحتاج أكثر من التقاطها وتقديمها على الشاشة، كانت الزيجة الأولى أو بمعنى أدق الصدمة الأولى هي زواجها من رجل سرعان ما اكتشفت انه أراد داليدا النجمة، وليس الإنسانة، فكان الانفصال، ثم أحبت شابًا ايطاليًا، ولكنه فشل كفنان فأطلق النار على نفسه ومات، أما هي فتحدت الموت، قررت لقاءه في العالم الآخر وحاولت الانتحار، لكنها نجت بأعجوبة هذه المرة.

عادت داليدا تتجرع المرارة وتعطينا الفن، تخفي أحزانها وتتوهج، تمامًا كما نخفي الشمعة لتضيء أكثر وأكثر. والتقت به، شابًا وسيمًا من الطبقة الأرستقراطية، وبعد حبٍ كبير يتوفى في ظروف غامضة ويذرها تائهة، محطمة، مجرد أضواء وصخب، تحملها كالموج العاتي إلى أعلى وأعلى، ثم لا ميناء أو هدنة، تشعر فيها بلحظة صدق مع مشاعرها وإنسانيتها.

اليوم السادس والأخير

في ١٩٨٦، عـادت إلى مـصر، لتكـون بطلـة فيلـم يوسـف شـاهين الجديـد «اليـوم السـادس» بعـد اعتـذار فاتـن حمامـة وسـعاد حسـني عـن الـدور، ليتسبب هـذا الفيلـم في مفاجـأة غريبـة، لقـد كانـت «صدّيقـة» وهـي الشـخصية الـتي تلعبهـا داليـدا ضمـن أحـداث الفيلـم فلاحـة بسيطة وجـدّة، وحـين عُـرض الفيلـم شـاهدت نفسـها، وتخيلـت كيـف يمكـن أن تكـون في شـيخوختها، فانطفـأ آخـر شـعاع للضـوء بداخلهـا، آخـر أمـل في أن يكـون المسـتقبل أفضـل، بعـد أن خـسرت الحـب، والعاطفـة، والونـس، والإنجـاب، وهـو مـا جـاء عـلى لسـان بطلـة فيلـم داليـدا ردًّا عـلى أنهـا تمنـح النـاس الأمـل قائلـةً: وأنـا مـن يعطيـني الأمـل، ؟! في أقـل مـن عـام، اتخـذت داليـدا القـرار مـرة أخـرى، ولكـن بـإصرار أكـبر، ومـرارة أعمـق، امتـدت يدهـا إلى زجاجـة الحبـوب المنومـة، ابتلعـت أقراصهـا بالكامـل، ونامـت إلى الأبـد.

رد الجميل

لا شـك أن السـينما تأخـرت كثـيرًا في تجسـيد حيـاة داليـدا الحافلـة بالمـآسي، الـتي كثـيرًا مـا اسـتحقت تقديمهـا في العديـد مـن الأعمـال ليـس فقـط لكونهـا أيقونـة فنيـة

وإحــدى أســاطير الفــن والغنــاء في العالــم، لكــن لــثراء حياتهــا الخاصــة بموجــات دراميــة عاتيــة تكفــي كل منهــا على حـدة لصناعـة عمـل درامـي عـذب وممتـع، حيـث لـم تقـدم عنهـا سـوى فيلـم تليفزيـوني مـن جزءيـن عـام ٢٠٠٥ أنتجتـه فرنسـا وإيطاليـا، كمـا لـم تقـدم السـينما المصريـة أعمـالًا عـن حيـاة المطربـة العالميـة الراحلـة رغـم أصولهـا المصريـة الـتي دفعتهـا للتغـني بربـوع مـصر في رائعتهـا الخالـدة «أحسـن نـاس» بكلمـات صـلاح جاهـين وألحـان سـمير حبيـب مـرددة: «أمـا أنـا ده أنـا مـن شـبرا، مـن مـصر وولادهــا الطعمــين، والنيــل بيضحــك ويغــني، فاكــرني وبيسـأل عـني»، «لكـن يبـدو أن مـصر لـم تتذكرهـا بعـد».

حياة غير وردية

قبـل «اليـد» احتفـت السـينما في فرنسـا بصوتهـا الخالـد إديـت بيـاف Édith Piaf إحـدى أسـاطير الغنـاء العالميـة في فيلـم أخرجـه الفرنـسي أوليفـر دان Olivier Dahan عـام ٢٠٠٧، الـذي شارك في تأليفه مع الكاتبة إيزابيـل سوبيلمان Isabelle Sobelman وحمـل عنـوان إحـدى أشـهر أغـاني بيـاف- الـتي كتبـت كلماتهـا أيضًـا - «الحيـاة الورديـة La Vie en rose»، مسـتعرضًا قصـة حياتهـا الـتي لـم تكـن ورديـة عـلى الإطـلاق، فالمطربـة الكبـيرة الـتي عانـت منـذ نشـأتها مـن قسـوة الفقـر والحاجـة لـم تمنـع عنهـا الشـهرة مسلسـلًا مـن المـآسي المتواصلـة الـتي عصفـت بحياتهـا حـتى النهايـة، بـدءًا بوفـاة الرجـل الوحيـد الـذي أحبتـه وهـو لاعـب الملاكمـة مارسـيل سـيردان إثـر انفجـار طائرتـه ليلقـى زوجهـا الأول نفـس المصـير قبـل عودتهـا إليـه مـرة أخـرى مما قادهـا إلى حافـة الجنـون والحـزن، الـذي تطـور إلى اكتئـاب حـاد نتيجـة تعرضهـا لحـادث أثّـر بشـدة في قدرتهـا عـلى الحركـة قبـل إصابتهـا بالشـلل التـام في أيامهـا

الأخيرة، التي شدّت فيها بأغنيتها الرائعة non je ne regrette rien معلنةً في تحدٍ: انتهيت من الغراميات ومن كل إرباكاتها، تخلصت منها للأبد، وسأبدأ مجددًا من الصفر.

عبّر الفيلم بتحرُّر عن حياة بياف ولم يخجل صُناعه في إظهار خفايا حياة مطربة فرنسا وأوروبا الأولى، بدءًا بإدمانها للكحول وغرقها في حياة بوهيمية متخبطة، مرورًا بغنائها في الشوارع والملاهي الرخيصة، وصولًا إلى استعراض منحنيات حياتها العاطفية والجنسية، بسيناريو بديع وأداء مذهل للممثلة الفرنسية ماريون كوتيلارد Marion Cotillard، التي انصهرت روحًا وجسدًا في كيان إديت بياف، مقدمةً أعظم أدوار السيرة الذاتية، حائزةً عنه بجداره على جوائز التمثيل من أهم مهرجانات العالم السينمائية على رأسها الأوسكار والجولدن جلوب والبافتا وسيزر، كما برع الممثل الفرنسي القدير جيرارد ديبرتويه Gérard Depardieu في دور مكتشف بياف لويز ليبلي، بينما تقمص جان بييري مارتين Jean-Pierre Martins دور حبيبها مارسيل سيردان.

بالطبـع لـم تتخـلَّ السـينما الأمريكيـة عـن مطرباتهـا العظيمـات، فقدمـت عـام ٧٢ فيلمًـا يجسـد حيـاة مغنيـة الجـاز الأمريكيـة الكبـيرة بيـلي هوليـداي Billie Holiday حمـل أيضًـا عنـوان إحـدى أشـهر أغنياتهـا « السـيدة الـتي تغـني البلـوز Lady Sings the Blues، ٧٢ " مـن إخـراج الكنـدي سـيدني جـي فـوريي Sidney J. Furie وبطولـة نجمة الغنـاء الأمريكيـة ديانـا روس Diane Ross الـتي تقمصـت دور هوليـداي مترشـحةً عنـه لجائـزتي الأوسـكار والجولـدن جلـوب.

وإذا كانـت إديـت بيـاف قـد عانت مـن الفقر والتمييز بسـبب ملامحهـا وضآلـة جسـدها ومراحـل حياتهـا البوهيميـة، فقد مـرت هوليـدي بتجـارب لا تقـل مـرارةً عنهـا، بـدءًا بالفقـر وصـولًا للاعتـداء الجنـسي والتميـيز العـرقي بسـبب بشرتهـا السـمراء، وهـو مـا دفعهـا بعـد ذلـك لمناهضـة العنصريـة في العديـد مـن الأغنيـات الـتي اسـتحقت صاحبتهـا أن

يقام لها تمثالًا برونزي في مسقط رأسها بولاية بنسلفانيا الأمريكية، كان أشهرها أغنية «فاكهة غريبة Strange Fruit» التي تحدثت فيها عن فظائع العنصريين ضد السود في ذلك الوقت مرددة: «دم يلون الأوراق ودم منسدل فوق الجذور، أجساد سوداء تتأرجح مع نسيم الجنوب، فاكهة غريبة تتدلى من أشجار الحور»

المطربة الفاشلة

لم تكتف السينما الأمريكية بتخليد مطرباتها الموهوبات في أفلامها بل جسدت حياة «فلورنس فوستر جنكيز Florence Foster Jenkins» والتي لقبت بأسوأ مغنية أوبرا في التاريخ نظرًا لسوء صوتها والنشاز الممتلئ به أداؤها في فيلم حمل اسمها تم إنتاجه العام الماضي وأخرجه الإنجليزي ستيفن فريرز Stephen Frears من بطولة ميريل ستريب Meryl Streep التي قدمت أداءً مبهرًا كعادتها، بالاشتراك مع النجم الإنجليزي هيو جرانت Hugh Grant في دور كلير بايفيلد صديق فلورنس، التي عاشت في الأربعينيات من القرن الماضي وشغفت بالغناء الأوبرالي رغم عدم امتلاكها الموهبة التي تؤهلها لممارسته بل إنها واظبت على تلقي تمرينات الصوت بدأب رغم تخطيها سن السبعين. لم تعاني فلورنس من الفقر مثل إديت بياف أو بيلي هوليداي، كما لم

تواجـه صعوبـات في احترافهـا للغنـاء مثـل داليـدا، نظـرًا لثرائهـا الشـديد الـذي سـهّل لهـا الحصـول عـلى تدريبـات الصـوت عـلى يـد توسـكانيني أحـد أشـهر الموسـيقيين، واسـتطاعت حجـز أضخـم المسـارح للغنـاء عـلى خشـبتها، بـل وإهـداء معظـم تذاكرهـا لجنـود الجيـش، وهـو مـا دفـع مؤلـف الفيلـم نيكـولاس مارتـين Nicholas Martin إلى محاولـة إيجـاد بدائـل تدفـع المشـاهد للتعاطـف مـع البطلـة، مثـل إصابتهـا بمـرض الزهـري الـذي فتـك بهـا، ونتـج عنـه صلعهـا الكامـل وعـدم قدرتهـا عـلى الانفعـال الشـديد أو إقامـة علاقـات جنسـية أو بـذل مجهـود شـاق، بالإضافـة إلى إبـراز شـغفها الشـديد بالغنـاء، مقابـل سـخرية الكثيريـن منهـا وعـدم إيمانهـم بهـا، عـلى رأسـهم البيانيسـت الخـاص بهـا ماكمـون «الممثـل سـيمون هيلبيرج Simon Helberg».

الفخ الأول

لـم تنـجُ الأعمـال الفنيـة الـتي جسـدت حيـاة المطربـات العربيـات مـن الوقـوع في فخفـين همـا التقديـس وسـوء التقمـص، وهـو مـا نلاحظـه في العملـين اللذيـن جسـدا حيـاة مطربـة مـصر والعـرب أم كلثـوم وهمـا فيلـم «كوكـب الشرق، ٩٩ « للمخـرج محمـد فاضـل، ومسلسـل «أم كلثـوم» الـذي أخرجتـه إنعـام محمـد عـلي في نفـس

العـام، واختـارت لتجسـيد دور المطربـة الكبـيرة الممثلـة صابريـن محاولـةً محاكاتهـا في شـكل الملابس والاكسسـورات دون الأخـذ في الاعتبـار أن أم كلثـوم لـم تكـن بضخامـة بطلـة المسلسـل في ذلـك الوقـت والـتي لـم تحـاول إنقـاص وزنهـا ليناسـب هيئـة سـيدة الغنـاء العـربي الضئيلـة حسـب وصـف الكاتـب الراحـل أنيـس منصـور لهـا في كتابـه «عاشـوا في حيـاتي» بعـد أن شـاهدها عـن قـرب، وهـو مـا تُظهـره حفلاتهـا المصـورة وأفلامهـا، ممـا دفـع إلى اعـتراض مخرجـة العمـل عـلى وزن البطلـة، الـتي صرحـت بذلـك في أكـثر مـن حديـث تليفزيـوني، لكـن يبـدو أن الجهـد المبـذول مـن قبل النجـوم والنجمـات اسـتعدادًا لأدوارهـن، والـذي يعتـبر مـن بديهيـات فـن التمثيـل في العالـم لا يتـم التعامـل معـه في كل أعمالنـا بجديـة كبـيرة.

ربمـا كانـت فـردوس عبـد الحميـد هـي الأنسـب شـكلًا لأم كلثـوم، لكنهـا فضلـت أداء الـدور تمثيـلًا وغنـاءً بطريقتهـا الخاصـة الـتي ربمـا كان سـيتحقق لهـا النجـاح لـو لـم يـر الجمهـور المطربـة الأصليـة ولـم يحفـظ طريقـة أدائهـا مـن خـلال حفـلات مسـجلة تـذاع عـلى الفضائيـات الموسـيقية حـتى الآن. تقـول ماريـون كوتيـلارد: «شـاهدت مئـات الشرائـط المصـورة لإديـث بيـاف، راقبـت حركاتهـا ونـبرة صوتهـا، مـتى تتنفـس ومـتى تحبـس أنفاسـها وهـي

تغني، حركات يديها طريقتها في الكلام، حتى أنني تلقيت دروسًا في الغناء لضبط إيقاعي مع إيقاعها».

لكن كوتيلارد أدركت أيضًا أن هناك فرق بين التقليد والتقمص وهو ما استدركته بقولها: «لم أعمد إلى تقليد نبرة صوتها وطريقة مشيتها فقط، لكن ما أن نطق المخرج أوليفييه دان بكلمة أكشن، حتى وجدتها تتلبسني، تركت لها نفسي تمامًا، سمحت لها أن تحتل مسامي، لتشعر أنها في بيتها دون أن أختفي أنا أيضًا».

الفخ الثاني

تميزت حلقات مسلسل أم كلثوم التي كتبها المؤلف محفوظ عبد الرحمن بالتماسك الدرامي ودقة تفاصيل مخرجته إلا أن السبب الخفي وراء نجاحه غير المسبوق هو وقوعه في الفخ الثاني بجدارة وهو القداسة التي أضفاها على شخصية أم كلثوم حيث أظهرها بلا خطايا أو أخطاء وهو ما حاول أن يتحرر منه إبراهيم الموجي مؤلف الفيلم مما أضاف سببًا جديدًا لفشله لدى الجماهير العربية التي لا تفضل غالبًا خدش نجومها المحبوبين بعرض أخطائهم أو نقاط ضعفهم الإنساني.

ففي الوقت الذي تطرقت السينما العالمية إلى إدمان إديت بياف للكحول وبيلي هوليداي للمخدرات وعملها

في الدعـارة بعـد تعرضها للاغتصاب، وكشـفت عـن الحياة الجنسـية لداليـدا وفلورنـس فوسـتر، فضّلـت معظـم الأعمال العربيـة الـتي تـم تقديمهـا عـن مطربـات الابتعـاد عن مناطـق حياتهـن الشـائكة مثـل مسلسـل «أنـا قلـبي دليـلي، ٢٠٠٩» للمخـرج السـوري محمـد زهـير رجـب عـن حياة المطربـة ليلى مـراد وبطولـة الممثلـة السـورية صفـاء سلطان الـتي فشـلت في تجسـيد روح وشـخصية المطربـة الكبيرة بـدءًا بنـبرة الصـوت المزعجـة الـتي افتعلتهـا طـوال أحـداث المسلسـل وصـولاً للحضـور الضعيـف البعيـد كل البعـد عـن المطربـة الراحلـة، كمـا اجتهـدت المغنيـة اللبنانيـة كارول سـماحة للاقـتراب مـن النجمـة صبـاح في مسلسـل «الشـحرورة» الـذي قدمـه المخـرج أحمـد شـفيق عام ٢٠١١ إلا أنهـا لـم تصـل بأدائهـا إلى حـدود الإبهـار رغـم قدراتهـا التمثيليـة الجيـدة، بينمـا برعـت الممثلـة السـورية سلاف فواخرجـي في دور المطربـة أسـمهان ضمـن أحـداث المسلسـل الـذي حمـل اسـمها عـام ٢٠٠٨ للمخـرج التونـسي شـوقي الماجـري حيـث يعتـبر أكـثر الأعمـال العربيـة الـتي تطرقـت لحيـاة مطربـة تحـررًا مـن فـخ التقديـس الجماهـيري الـذي أجـبر المبدعـين عـلى تقديـم المشـاهير كملائكـة أو عـلى الأقـل أحسـن نـاس.

- عاشوا في حياتي، أنيس منصور.

- بياف، روبير بيلوري.


سيف ودرع وسينما
طعنات السياسة



«السينما الخفية» في كواليس السياسة

أثناء الاستعدادات للانتخابات الرئاسية الأمريكية الأخيرة، أظهرت استطلاعات الرأي تقارب الفرص بين مرشحي الرئاسة الأمريكية دونالد ترامب وهيلاري كلينتون، مما ضاعف من سخونة المشهد السياسي، الذي لن يحتاج مخرج هوليوودي لإضافة مايجعله أكثر إثارة، إذا ما قرر أن يحاكيه في فيلم سينمائي باستثناء تنويه (+ ١٨)، لحماية الأطفال من التعرض لأشياء غير ملائمة، فاجأتنا بها منافسة سياسية في شراسة مباريات الملاكمة، وإثارة رهانات الروليت، بدءًا بتأكيد كل مرشح على افتقار خصمه لمقومات منصب الرئيس، والتراشق المتبادل بالاتهامات المالية المخلة بالشرف، وصولًا إلى المعايرة بالفضائح الجنسية للمرشحين وأسرهم، مما دفع ترامب إلى إطلاق تصريح عنيف في وجه منافسته قائلا:» لو أنني رئيس أمريكا لكنتي الآن في السجن»

ليس غريبًا أن تظل المنافسات والمناظرات الرئاسية الأمريكية محط الأنظار، فالفائز سيصبح رئيس أقوى دولة في العالم، ولكن ما الذي جعل كلينتون وترامب قبيل فوزه بطلي أكثر المناظرات الرئاسية الأمريكية، مشاهدةً في التاريخ، بعد متابعتها من قبل ٨٢ مليون مُشاهد داخل أمريكا فقط، بالإضافة إلى ملايين المشاهدين حول العالم، ربما لأن التركيز على القضايا الاقتصادية والسياسية كان هو السائد دون افتقاد التقدير المتبادل بين الخصوم، أو على الأقل دون الهبوط على منحدر الفضائح الجنسية، مثلما بادرت كلينتون بتوبيخ منافسها على شرائطه المخلة، التي تسجل أوصافه الفاضحة والمسيئة للنساء معلقة: لايمكن أن نسمح لهذا الرجل أن يصبح رئيسًا- ليرد ترامب بفتح ملف الاعتداءات الجنسية لزوجها الرئيس السابق بيل كلينتون، متهمًا إياها بالتستر عليه، بل وممارستها ضغوطًا على الضحايا، لإجبارهن على الصمت، لتنتهي المناظرة الثالثة والأخيرة بينهما، دون أن يتصافحا كما كان سائدًا في المناظرات السابقة.

في السينما الأمريكية حاولت العديد من الأفلام أن تكشف كواليس صراعات الانتخابات الخفية، ولكن هل وصل خيال صنّاعها إلى هذا الكم من الشراسة،

واللعب بكل الأوراق عملًا بنظرية الواقعية السياسية، التي أسسها الفيلسوف الإيطالي ميكافيللي، وفق المبدأ الشهير: الغاية تبرر الوسيلة، وهل كانت التسلية هي الهدف من صناعة تلك الأفلام أم أنها إحدى أدوات اللعبة السياسية؟

ابتزاز ووصولية

في ٢٠١١ قام جورج كلوني George Clooney ببطولة وإخراج فيلم "The Ides of March" مشاركًا في إنتاجه وتأليفه، عن كواليس عالم الانتخابات الملوث بالكذب والابتزاز، حيث يترشح مايك موريس «جورج كلوني» للانتخابات الرئاسية عن الحزب الديموقراطي، بعد تورطه مع مولي إحدى المتدربات في حملته الانتخابية « إيفن وودEvan Wood " في علاقة جنسية يكتشفها ستيفن مايرز، المدير الإعلامي السابق للحملة «رايان جوسلينج Ryan Gosling»، تتوفى مولي بسبب جرعة زائدة من الكحول والمخدرات، ويسرق ستيفن هاتفها المحمول، بهدف العثور على دليل يؤكد علاقتها بموريس، الذي يهدده ستيفن بفضح أمره أمام الرأي العام، إن لم يعيده إلى منصبه كمدير إعلامي لحملته الانتخابية قائلًا له: «إذا أردت أن تكون رئيسًا يمكنك أن تكذب أو تغش لكن لا يمكنك أن تتخلى عن من يعملون

لحسابك لأنهم سينتقمون منك». يرضخ موريس لابتزاز ستيفن، ويعيده إلى منصبه. يحمل الفيلم إدانة واضحة لرجال الحزب الديموقراطي، حيث يبدأ بستيفن وهو يدّعي الإخلاص أمام الميكروفون قائلًا: لست مسيحيًّا ولا يهوديًّا ولا مسلمًا، بل لست حتى ملحدًا، ديني هو دستور الولايات المتحدة - رَسم السيناريو الذي رُشح للأوسكار بذكاء نقاط ضعف شخصياته، مما أنتج مبررات مقنعه لدوافعهم، فـ ستيفن يحركه طموحه الوظيفي، مستخدما الابتزاز طريقًا لتحقيقه، بينما موريس يخشى الفضيحه التي تهدد طموحه السياسي.

لعب كلوني كمخرج دورًا كبيرًا في خلق إيقاع مثير للفيلم، كما نجح في أن يجسد تطلُّع بطليه، ومدى انحدارهم الأخلاقي، مثل مشهد بكاء ستيفن في السيارة حزنًا على وفاة مولي وسط الأمطار، التي تحاول أن تزيحها مسّاحات السيارة، في إيحاء بمدى زيف الشخصية خلف تلك الدموع، والمشهد الأخير الذي يصور الكرسي محتلًا معظم الكادر، في إشارة إلى نجاح ستيفن في الوصول إلى هدفه الحقيقي وهو المنصب، بعد مشاهد جسدت كما كبيرًا من الصراع والتوتر، نجح بطلي الفيلم في التعبير عنها بصدق وسلاسه، خاصة كلوني في مشهد المؤتمر الصحفي، والمواجهة بينه وبين ستيفن.

ربما تجرأت هوليوود في تقديم التجاوزات الأخلاقية، والقانونية للسياسيين والمرشحين للرئاسة، كنوع من الإدانة الفردية لشخص أو حزب أو جهه، لكن لم يلجأ فيلم إلى تشويه أو إدانة نظام الانتخابات أو التشكيك في النزاهة أو الديموقراطية التي تتمتع بها أمريكا كدولة، في فيلم " Recount، ٢٠٠٨"مثلًا، نرى صراع الانتخابات بين المرشح الديموقراطي ال جور «الممثل جرادي كوتش Grady Couch»، وبين المرشح الجمهوري بوش الابن « الممثل برينت ميندينهيل Brent Mendenhall »، من خلال واقعة إعادة فرز الأصوات بولاية فلوريدا، في محاولة لإضفاء أجواء من الإثارة، لم يشفع في تحقيقها وجود عدد من النجوم منهم كيفن سبيسيKevin Spacey، والممثل الانجليزي المخضرم «جون هرت John Hurt"، والنجمة « لورا ديرنLaura Dern »، حيث لم يحقق الفيلم أي جوائز أو نجاح جماهيري يُذكر، بسبب الإسهاب في سرد الوقائع السياسية، كمحاولة

لإضفـاء روح الحياديـة عـلى السـيناريو، المتحـيز بالفعـل لرجــال الحــزب الديموقراطــي باعتبارهــم الأرقي أخلاقيًــا، وبالتالي فـإن مرشحه ال جـور كان سيجنب أمريـكا خسـائر تدخلهـا العسكري في العـراق وأفغانسـتان، بحجـة الحـرب عـلى الإرهـاب كمـا زعـم بـوش.

الدعايـة السـينمائية لحـزب عـلى حسـاب الآخـر، كان هدفًـا واضحًـا للعديـد مـن الأفـلام السياسـية الهوليووديـة، مثـل فيلـم « الرئيـس الأمريـكي The American President٩٦»، حيـث اسـتعرض جانبًـا مـن حيـاة الرئيـس انـدرو سـيفرد» الممثـل مايـكل دوجـلاس Michael Douglas» الـذي يعـزف الموسـيقى، ويقـع في حـب الناشـطة السياسـية « سـيدني وادي Annette Bening» ليسـتغل منافسـه بـوب راسـون «الممثـل ريتشـارد دريفـس Richard Dreyfuss « تلـك العلاقـة، في شـن هجـوم غـير أخـلاقي عـلى حيـاة الرئيـس الشـخصية، وقـد عـرض الفيلـم قبـل عـام مـن انتهـاء الولايـة الأولى للرئيـس بيـل كلينتـون، الـذي يعـزف الموسـيقى أيضًـا، وينتمـي للحـزب نفسـه بالإضافـة لتقريـب شـبه البطـل منـه، وإظهـار الجمهوريـين كأشرار الفيلـم، وهـو مالـم ينكـره المخـرج روب رايـنرRob Reiner، وغـيره مـن مخرجـي هوليـوود، الذيـن قدمـوا رؤى متحـيزة حسـب انتماءاتهـم السياسـية.

مناطق السينما المصرية المحرمة

لم تبرأ السينما المصرية من تبنيها دورًا سياسيًا، رغم عزوفها التام عن الدخول إلى منطقة الانتخابات الرئاسية، باستثناء فيلم واحد هو «ظاظا، ٢٠٠٦» للمخرج على عبد الخالق، إذ يقدم منافسة انتخابية بين الرئيس الفعلي متولي الحناوي « كمال الشناوي»، وبين الشاب البسيط ظاظا «هاني رمزي»، حيث تزداد شعبيته بعد المناظرة العلنية بينهما، ينجح ظاظا في الوصول إلى الحكم، ويقيل الحكومة الفاسدة ضمن إجراءات إصلاحية أخرى، كدعاية مبكره في ذلك الوقت لوريث الحكم جمال مبارك، فلم لا ينجح كشاب في تحقيق ما فشل فيه الرئيس المسن صاحب الخبرة مثل ما فعل ظاظا؟، وهي الفكرة التي سمحت الرقابة المصرية بالتحرك داخل حدودها بالملّل، مماأدى إلى تقديم فيلم ضعيف للغاية، من حيث المعالجة والتنفيذ.

كما لم ينجح مسلسل « السيدة الأولى، ٢٠١٤» للمخرج

محمد بكير من الوقوع في نفس الفخ، رغم أنه العمل التليفزيوني الوحيد الذي تعرض لكواليس الانتخابات الرئاسية، وخفايا القصر الجمهوري المصري في العصر الحديث حتى الآن، حيث قدم رؤيه سياسية كان مُرحبًا بها في تلك الفترة، لإدانة فترة ما قبل ثورة يناير ٢٠١١، من خلال رحلة صعود مريم « غادة عبد الرازق »، التي حملت مزيجًا من تجارب السيدات الأوَل في مصر، وبعض الدول العربية، مما أفقد المُشاهد توحده مع الشخصية أو الأحداث، وفشل المسلسل بالتالي، رغم الشعبية الكبيرة التي تتمتع بها بطلته، وأيضًا عودة نجم محبوب هو ممدوح عبد العليم بعد غياب ٥ سنوات، في آخر أدواره قبل الرحيل، ليصبح فشل تلك الأعمال حاجزًا جديدًا أمام إمكانية إنتاج المزيد منها في مصر.

- الفيلم السياسي، محمود قاسم

- السينما كما رأيتها، رفيق الصبان

الأوسكار والترشيح المزيف

في ديسمبر من كل عـام، تطالعنـا الأنبـاء الفنيـة بوصـول فيلـم مـصري للأوسـكار، لتبـدأ أجـواء كرنفاليـة بـين الجمهـور، تشـهدها مواقـع التواصـل الاجتماعـي، احتفـالًا بوصـول السـينما المصريـة لأشـهر جائـزة سـينمائية في العالـم، واقـتراب مشـاهدة نجومهـا المحبوبـين عـلى سـجادة مـسرح Dolby «كـوداك»، الـذي يسـتضيف حفـل توزيـع الجوائـز الشـهيرة، في حضـور أشـهر وألمـع نجـوم السـينما في العالـم.

بينمـا مـا يحـدث في الحقيقـة، هـو تكويـن لجنـة مصريـة تقيّـم الإنتـاج السـينمائي كل عـام، لتختـار فيلمًـا واحـدًا، يسـتحق مـن وجهـة نظرهـا تمثيـل مـصر، للحصـول عـلى الجائـزة في فئـة أفضـل فيلـم بلغـة أجنبيـة، إذ يعتـبر الأوسـكار مسـابقة سـينمائية محليـة، تحتفـي بالإنتـاج الأمريـكي وليـس مهرجانًـا سـينمائيًا، كمـا يظـن الكثـيرون، باسـتثناء فئـة الفيلـم الأجنـبي الناطـق بلغـة غـير إنجليزيـة،

اختــارت اللجنــة الفنيــة هــذا العــام فيلــم «اشــتباك» للمخــرج محمــد ديــاب، الــذي لــم ينجــح في الوصــول إلى الترشــيحات النهائيــة كالعــادة.

في كل عـام تتقـدم عـشرات الأفـلام مـن كافـة دول العالـم، للتنافـس في هــذه الفئـة حيـث تقـوم كل دولـة باختيـار فيلـم واحـد فقـط، وإرسـاله لنيـل الجائـزة باسـمها، ليتـم تصفيتهـا في الترشـيحات النهائيـة إلى ٥ أفـلام، يقتنصهـا مـن بينهـم الفيلـم الحاصـل عـلى عـدد الأصـوات الأكـبر، في التصويـت الجـاري بـين أعضـاء أكاديميـة فنـون وعلـوم الصـورة، وهـي الجهـة المانحـة للأوسـكار والـتي تضـم أكـثر مـن ٦٠٠٠ سـينمائي.

محاولات فاشلة

انتظمــت الأكاديميــة في منــح جائــزة للفيلــم الأجنــبي منــذ عــام ١٩٥٦، لتبــدأ مــصر بعــد ذلــك بســنوات قليلــة في إرســال أفلامهــا أمــلًا في الفــوز بهــا، والــتي أخفقــت حــتى في الوصــول إلى ترشــيحاتها الأخــيرة، رغــم إرســالها لأكــثر مــن ٣٠ فيلمًــا بــدءا بــ «بــاب الحديــد» ليوســف شــاهين عــام ٥٨، ثــم «دعــاء الكــروان، ٥٩» لــبركات، «أم العروســة، ٦٣» لعاطــف ســالم، «المومیــاء، ٦٩» لشــادي عبــد الســلام، «زوجــتي والكلــب، ٧١» لســعيد مــرزوق، «إســكندرية ليــه،

•٧ ليوسف شاهين، «أهل القمة، ٨١» لعلى بدرخان،
ستمر فشل أفلام التسعينات والألفية الجديدة في
حقيق أي إنجاز، والتي اختير منها على سبيل المثال
أرض الأحلام، ٩٣» لداوود عبد السيد، «سهر الليالي،
٢٠٠» لهاني خليفة، «عمارة يعقوبيان، ٢٠٠٦» لمروان
امد، «الشوق، ٢٠١١» لخالد الحجر، «فتاة المصنع،
٠١٠» لمحمد خان.

ي الوقت الذي استطاعت فيه السينما العربية اقتناص
الجائزة عام ٦٩ بفيلم زد " Z "للمخرج اليوناني costa
gaura، حيث سُجلت الجائزة باسم الجزائر، نظرا
لأن الفيلم إنتاج جزائري فرنسي مشترك، كما وصل
الفيلم الجزائري" le bal" للترشيحات الخمسه النهائية،
وهو ما حققته ٧ أفلام عربية أخرى هي The dust of
life " و"pays of glory" و»خارج عن القانون» للمخرج
الجزائري رشيد بو شارب، « الجنة الآن «، و»عمر»
للمخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد، «تمبوكتو» للمخرج
الموريتاني عبد الرحمن سيساكو، و(ذيب) للمخرج
الأردني ناجي أبو نوارة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: لماذا نجح مبدعون
ينتمون لدول لا تملك صناعة حقيقية للسينما حتى الآن
ولا يتجاوز إنتاجها أفلامًا معدودة سنويًا في الوصول

للترشيحات النهائية الخمسه لأشهر جائزة سينمائية في العالم بينما أخفقت السينما المصرية في تحقيق ذلك، رغم كونها الأضخم والأعرق عربيًا من ناحية حجم وتاريخ الإنتاج والصناعة، حيث عرفت مصر السينما عام ١٨٦٩، أي بعد شهور من ظهورها في الولايات المتحدة والعالم، إذ تم إنتاج « أولاد الذوات « كأول فيلم روائي مصري ناطق طويل عام ١٩٣٢، ليتجاوز عدد الأفلام المصرية حتى الآن أكثر من ٤٠٠٠ فيلم.

أسباب الإخفاق

ربما تكون أول الأسباب الرائجة لعدم وصول السينما المصرية للأوسكار هو ضعف الميزانيات الإنتاجية، مقارنةً بالإمكانيات المتاحة للأفلام الأمريكية والعالمية، ولكن ما حدث بالفعل هو أن عددًا كبيرًا جدًا من الأفلام الفائزة بالجائزة، كانت ذات ميزانية متوسطة بل وأحيانًا قليلة للغاية، مثل الفيلم الأرجنتيني "The Secret in Their Eyes"، الفائز عام ٢٠٠٩ بميزانية ٢ مليون دولار، والفيلم البولنديIda" "الفائز عام ٢٠١٣ بميزانية ٢ مليون يورو، كما لم يتجاوز إنتاج الفيلم المجري "Son of Saul" الفائز عام ٢٠١٥ مبلغ المليون ونصف يورو، بينما تكلف الفيلم الإيراني " A Separation" الفائز عام ٢٠١١ نصف مليون دولار فقط.

هـي ليسـت قاعـدة أن تقـترب الأفـلام قليلـة التكلفـة بخطـوات أكـبر ناحيـة الفـوز، بـل إن معايـير أخـرى تمامًـا هـي المتحكمـة في ذلـك سـواء كانـت تسـويقية أو فنيـة، منهـا مـا صرح بـه المخـرج المـصري يـسري نـصر الله بـأن الدخـول للأوسـكار مغامـرة باهظـة الثمـن تبـدأ تكلفتهـا مـن ٤٠٠ ألـف دولار عـلى الأقـل، وهـي الميزانيـة اللازمـة لتمويـل حملات ترويـج الفيلـم بـين أعضـاء الأكاديميـة، مؤكـدًا أن المنتـج المـصري يفضـل صرف هـذا المبلـغ لإنتـاج أفـلام جديـدة، لا لدعـم فيلـم تـم عرضـه بالفعل حـتى وإن كانت النتيجـة هـي احتماليـة الفـوز بالجائـزة السـينمائية العالميـة الأشـهر، وهـو مـا يؤكـده الناقـد أمـير العمـري أيضًـا بقوله، إن المنتجـين والموزعـين ينفقـون عـلى الدعايـة لأفلامهـم لـدى أعضـاء الأكاديميـة مبالـغ فلكيـة.

منظومـة الأفـكار السياسـية والاجتماعيـة، الـتي حددتهـا هوليـوود لأفلامهـا تعتـبر مـن أهـم طلاسـم عـدم وصـول فيلـم مـصري للأوسـكار حـتى الآن، وهـو ماأشـار إليـه الباحـث محمـود عـلي ماهـر، مـن تبـني تلـك المنظومـة لكل ماهـو نبيـل ومسـتضعف، وخلـق مجتمـع افـتراضي ننتـصر فيـه الأقليـات المضطهـدة، وكذلـك الإشـادة بشـخصيات واقعيـة منبـوذة مجتمعيًـا، وتعزيـز صـورة الحلـم الأمريـكي، إضافـة لأفـكار قبـول الآخـر والتأقلـم مـع

الواقـع بشـكل براجمـاتي، حسـب حجـم المنفعـة المتحققـة وتأييـد التحـرر والانصهـار العالمـي بـين الثقافـات، تلـك الأفـكار الـتي يصفهـا الناقـد الأمريـكي جوناثـان روزنبـم Jonathan Rosenbaum أنهـا ارتقـت لمرتبـة الديانـة السـينمائية الأمريكيـة.

شفرة الفوز

بمتابعـة الأفـلام الأجنبيـة التي استطاعت الفوز بالأوسـكار، أو الوصـول للترشـيحات الأخـيرة، ربمـا نستشـف تماسـها مـع تلـك الأفـكار السـابق ذكرهـا، حيـث يقـدم المخـرج السـويدي الكبـير برجمـان Ingmar Bergman الفائـز ٣ مـرات بالأوسـكار والمرشـح لهـا ٥ مـرات ككاتـب، و٣ مـرات كمخـرج في فيلمـه «وجهًـا لوجـه face to face" الـذي وصـل للترشـيحات النهائيـة عـام ٧٦ مضمونًـا، يقـول إن الحـب والتفاهـم وقبـول الوضـع القائـم، هـي المسـكنات الوحيـدة وأن المسـاعدة لـن تأتينـا مـن مؤسسـات خارجيـة، وهـو مـا ذكـره الناقـد الأمـيركي تشـارلز شـامبلينchamplen Charles في مقـال لـه نُشـر في جريـدة ليمونـد الفرنسـية.

في الفيلـم الأردني « ذيـب « نـرى البطـل الـذي يحمـل اسـمه الفيلـم، يفاجـأ بقاتـل أخيـه وجهًـا لوجـه بحيـث تجـبره الظـروف عـلى تطبيبـه، والبقـاء بصحبتـه حـتى العـودة معـه إلى القريـة، في إشـارة إلى فكـرة التأقلـم الـتي يجبرنـا

عليها الواقع، وما يتطلبه ذلك من التجاوز عن عداوات الماضي بما يحقق مصلحة الحاضر، بينما نعايش في فيلم « الجنة الآن » تجربة شابين فلسطينيين يستعدان للقيام بعملية انتحارية في إسرائيل، هما سعيد وخالد «علي سليمان وقيس ناشف»، ليكتشفا في اللحظات الأخيرة قبل التنفيذ أن هذا ليس هو الحل الأمثل، أو الأكثر جدوى إذ يقرر أحدهما العودة إلى نابلس، بينما يلغي الثاني العملية بعد رؤيته لطفل صغير في مكان التنفيذ.

الفيلم يدين العمليات الانتحارية موضحًا أن الشعور بالعجز والمهانة، هو الذي يجبر الناس على القيام بمثل هذه الأفعال حسب تصريح مخرج الفيلم هاني أبو أسعد في حوار له مع نيويورك تايمز.

رفض العنف والوحشية وإدانة الحكم الديني أيضًا، هو ما يدور حوله فيلم « تمبوكتو» كما قال سيساكو مخرج الفيلم في حواره مع جريدة البابيس الأسبانية، مؤكدًا أن المبادئ التي ترمز لتمبوكتو هي مبادئ عالمية، حيث يسيطر الإسلاميين على قرية شمال مدينة مالي، يحرمون على أهلها الموسيقى وكرة القدم، بل يضربون التماثيل بالرصاص، في مشاهد تدين صعود التيارات الإسلامية إلى الحكم.

انفصـال المجتمـع عـن السياسـة الحاكمـة، هـو أيضًـا مـا دار حولـه الفيلـم الإيـراني « إنفصـال "A Separation حيـث يقـدم المخـرج أصغـر فرهـادي انفصـال أبطالـه مـن ناحيـة، وانفصالهـم عـن مجتمعهـم الخاضـع للحكـم الديـني مـن ناحيـة أخـرى، ممـا يتسـبب في حـدوث تناقـض ورفـض وصراع، تتـآكل عـلى أثـره قيـم الحريـة والعدالـة، مـن خـلال التنـازع بـين نـادر الـزوج المتحـرر علمـاني النزعة، وزوجتـه سيمين « فضـة بالفارسـية» الملتزمـة دينيـا، والـتي تـود الانفصـال عـن مجتمعهـا وبلادهـا، مضحيـة بـكل شيء حـتى حبهـا لنـادر، المنفصـل هـو الآخـر عـن النظـام الديـني المتشـدد، محـاولًا الاتسـاق بينـه وبـين قناعاتـه الرافضـه لهـذا التشـدد. هـدف سـياسي آخـر يـدور حولـه فيلـم «الحيـاة جميلـة» Life Is Beautiful للمخـرج الإيطـالي روبرتـو بنّيـني Roberto Benigni الفائـز بالأوسـكار عـام ٩٨، إذ يقـدم أسرة يهوديـة يتـم اعتقالهـا بعـد احتـلال ألمانيـا لإيطاليـا في أعقـاب الحـرب العالميـة الثانيـة، وكيـف أن البطـل يمتلـك ذكاءًا خارقـا، وخيـالًا خصبًـا حيـث ينجـح في أن يوهـم ابنـه طـوال فـترة اعتقالهمـا بتحقيـق حلمـه، وهـو قيادتـه لدبابـه عسـكرية حقيقيـة، حـتى يتـم تحريرهمـا ليلتقـط الجنـدي الأمريـكي الطفـل، ويحملـه فـوق دبابتـه في المشـهد الأخـير مـن الفيلـم.

القيمة الفنية

لا شك أن اعتبار موضوعات هذه الأفلام، هي فقط ما أهلتها للوصول للأوسكار يعد اختزالًا وظلمًا لقيمة تلك الأفلام، التي تميزت بمستوى رفيع من الجودة والإبداع في كافة عناصرها الفنية، فلا يمكن تجاهل الحرفية الشديدة لسيناريو فيلم «ذيب»، الذي يبدأ بمشهد لبطله الطفل، وهو غير قادر على تصويب سلاحه، لتنتهي به الأحداث قاتلًا بعد مغامرة صحراوية مثيرة، لم تخلُ من جماليات رائعة امتازت بها كادرات الفيلم، رغم تصويرها في الصحراء بالإضافة لجمال الملابس والمكياج وعفوية الممثلين، الذين كانوا من البدو فعليا، حيث يقفون للمرة الأولى أمام الكاميرا.

مشاهد عظيمة وشديدة البلاغة تميز بها « تومبكتو» أيضًا، مثل مشهد لعب الأطفال بكرة القدم غير الموجودة أصلًا، بعد أن تحايلوا على تشدد الجماعات الدينية التي سيطرت على القرية، كذلك مشهد بائعة

السمك التي تتصدى للمسلحين، ومشهد إطلاق الرصاص على التماثيل، كما تميز فيلم « انفصال « بسيناريو مذهل، تنتهي أحداثه دون أن تنجح كمشاهد في تحديد الكاذب أو الضحية من بين أبطال الفيلم، فالمواقف شديدة الإنسانية والذكاء، قوامها القهر والتناقض المجتمعي وغموض المستقبل، ما يجعل الكل جناة وضحايا ربما بنفس الدرجة.

ومن خلال تفاؤل البطل وإنسانيته ومرحه، استطاع فيلم «الحياة جميلة « أن يقدم قصته بشكل شديد الرهافة، رغم اعتقال الطفل بصحبة أبيه طوال النصف الثاني من الفيلم، مما أجبر المُشاهد على التعاطف الكامل معه ومع صدق قضيته.

حقائق ووقائع

صعوبة الخروج أو التمرد على منظومة هوليوود الفكرية، تشير إليها حقائق عدة، منها محاربة فيلم « هيورشيما حبيبتي « للمخرج آلان رينييه Alain Resnais سنة ٥٩ ومنعه من العرض في أمريكا، بل إن المسؤولين عن إدارة مهرجان « كان « قد أوقفوا بسبب عرضهم للفيلم بزعم أنه مناهض للسياسات الأمريكية، حيث يجسد حجم الدمار الذي لحق بمدينة هيروشيما اليابانية، بعد

ضربها من قبل الولايات المتحدة بالقنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية، كما ذكر الناقد يوسف شريف رزق الله.

الأمر الذي تكرر مع عدة أفلام، منها الفيلم الوثائقي « الفلسطيني» الذي أنتجته الممثلة فانيسا ريدغريف Vanessa Redgrave، عام ٧٨، وهو ما أعلنته هي شخصيًا بعد حصولها على جائزة التمثيل عن فيلم « جوليا Julia » مؤكدةً تعرضها لضغوط، منعت فوزها بالجائزة عدة مرات، بسبب إنتاجها لفيلم على غير هوى منتجي هوليوود، موجهة شكرها للأكاديمية لرفض تلك الضغوط أخيرًا.

وهو ما تكرر مع الممثل والمخرج العالمي ميل جيبسون Mel Gibson، بعد تصريح له ضد اليهود وهو مخمور، ظل منبوذًا على أثره فترة طويلة، مما دفع أصدقاءه من نجوم هوليوود إلى دعوة صنّاع السينما الأمريكيين للصفح عنه، بدعوى أنه لم يكن واعيًا أثناء إطلاقه تلك التصريحات.

المزاج العام الأمريكي له أيضًا دور فاعل في الدفع بأفلام إلى الواجهة دون أخرى، وهو ما يفسر وصول الفيلم الوثائقي « الميدان » للمخرجة المصرية جيهان

نجيم قبل سنوات للترشيحات الأخيرة، والذي لا يمكن إنكار تميزه وارتفاع مستواه الفني، ولكن يبقى السؤال، هل هذه الأفلام كانت لتصل إلى منصة الأوسكار أو ترشيحاته النهائية إذا ما رسخت لأفكار لا تتسق مع القناعات الأمريكية أوالمزاج السياسي السائد لصناع السينما في هوليوود، حتى وإن تميزت فنيًا بنفس الدرجة؟

- السينما العشق والتأويل، محمود عبد الرحيم.
- يهود هوليوود، محمود علي ماهر.
- عاشق الأطياف يوسف شريف رزق الله، محمود عبد الشكور.
- السينما المصرية بين المحلية والعالمية، محمود علي.

الذين دفعهم الشغف إلى

الرقص
على الحبال المشدودة



لمس أكتاف نسائي

الدراما تشبه الرياضة فالمكوِّن الرئيسي لهما هو الصراع، الذي يزداد إثارة إذا كان بين خصوم متساوية في القوة كما عبر الكاتب الإسباني لاجوس أجري. في السينما المصرية كان هناك ثنائيات شهيرة جمع بينهما الصراع على النجاح الجماهيري من خلال أعمال شكلت ضربات فنية متبادلة، حاول كل طرف أن يلمس أكتاف خصمه بالعمل الأقوى.

وإذا كان الفيلسوف الصيني كونفوشيوس قد ذكر أن المرأة هي أبهج شيء في الحياة. فربما لو عاصرنا الآن لأضاف: وفي السينما أيضًا. فالمرأة دنيا من التفاصيل، عالم من الأشكال والألوان كما وصفها الرسام الإسباني بيكاسو، وهو ماصنع على الشاشة الفضية سحرًا خاصًا إتقدت جذوته في تنافس ثنائيات نسائية توافرت لها عدة عوامل، جعلت مبارياتها هي الأشهر والأقوى في حلبات الصراع السينمائي.

الجُملة الأولى في بداية كل منهما حملت نفس الاسم بديعة مصابني. تلك الفنانة الاستعراضية وصانعة النجوم التي جاءت من لبنان إلى مصر في مطلع القرن العشرين وأسست فرقة وكازينو بديعة الذي فتح أبوابه لفتاة عمرها ١٢ عامًا تدعى تحية محمد، بعد أن جاءت هاربة من الإسماعيلية بسبب تعذيب إخوتها لها عقابًا على حبها للرقص. تقرر بديعة أن تقدمها في الصالة فتحقق نجاحًا كبيرًا خاصة في رقصة «الكاريوكا» لدرجة أن إلحاح الجمهور في طلبها المتكرر أدى إلى تسميتها بـ «تحية كاريوكا».

سيناريو الهروب هو ما دفع أيضًا زينب خليل محفوظ إلى كازينو بديعة بعد تعرضها لعلقة موت من زوج شقيقتها. أعجبت بديعة بسمارها ورشاقتها واختارت لها اسمًا فنيًا هو «سامية جمال» لتقرر تصعيدها إلى المقدمة وتقديمها لجمهور الصالة في رقصة منفردة، ولكنها تفشل بجدارة ويطالب الجمهور بنزولها سريعًا. يغلق الستار ويوصد باب الأحلام في وجه الراقصة الجديدة بعد فشلها في الرقص بالحذاء ذي الكعب العالي، الذي ضاعف من توترها في مواجهة الجمهور منفردة لأول مرة، وعادت سامية إلى الصفوف الخلفية

للراقصات المحترفات التي كان من بينهن تحية كاريوكا، ولأن النجاح لا يطرق أبواب المهزومين أو الضعفاء دفعت سامية كل مدخراتها لمصمم الرقصات ايزاك دكسون ليعلمها الرقص من جديد، ووافقت بديعة على منحها فرصة أخرى لتقديم رقصة منفردة، بعد أن هددتها بالطرد إذا فشلت ثانيةً، ولكنها لم تنجح فقط هذه المرة، بل ألهبت أكف الحاضرين من التصفيق إعجابًا بها في تلك الليلة التي شهدت ولادة راقصة كبيرة.

جولة الرقص

من الشروط المهمة للمنافسة أيضًا هو تميز كل طرف فيها بشخصية متفردة لا يشبه فيها الآخر وهو ماتحقق لسامية وتحية، فبينما ركزت تحية على الروح الشرقية في الرقص من خلال التعبير بحركات الخصر في أقل مساحة ممكنة، فضلت سامية استغلال مساحة المسرح كاملة في التنقل بين جنباته كالفراشة أو الفرسة الجامحة، كما شبهها الكاتب الراحل أنيس منصور ووصفها شاعر الأطلال إبراهيم ناجي في إحدى قصائده. بينما قال إدوارد سعيد عن تحية أنها تقف في قلب النهضة المصرية إلى جانب نجيب محفوظ وطه حسين، إذ لعبت برقصها دورًا كبيرًا في الحياة الفنية المصرية والعربية، وهو ما يتفق عليه الأديب إحسان عبد القدوس، مؤكدًا

أنها حوّلت الرقص الشرقي إلى فن بعد أن كان استعراضًا للجسد.

تقول سامية: « تحية عظيمة وأعتبرها ست الكل. وهي تستطيع الرقص في ربع متر لساعات متواصلة دون أن يمل منها الجمهور، ولكني لو بقيت في تلك المساحة على المسرح هطق واموت ».

انتصرت تحية في معركة تقدير المثقفين، بينما كسبت سامية جولة إعجاب الطبقات الأرستقراطية، بل إن الشائعات نسجت علاقة عاطفية ربطت بينها وبين الملك فاروق.

جولة السينما

في حَلبة السينما كسبت تحية الجولة من ناحية الكم بسبب اعتزال سامية المبكر للتمثيل عام ٧٢، بينما ظلت تحية تقدم أفلامًا جديدة حتى عام ٩٥ وصلت إلى ١٣٢ فيلمًا سينمائيًا مقابل ٦٣ فيلمًا لسامية، كما ربحت تحية أيضًا في جولة الجوائز التي حازت عليها كممثلة عن أفلام هامة صنفت كأفضل أفلام مصرية وعربية مثل «شباب امرأة، ٥٦» « الفتوة، ٥٧» لصلاح أبو سيف، « أم العروسة، ٦٣» لعاطف سالم ، «اسكندرية كمان وكمان، ٩٠» ليوسف شاهين، بينما قدمت سامية

مجموعـة مـن الأفـلام الخفيفـة الـتي نجحت تجاريًا ولعبت في معظمهـا أدوار الراقصـة أو الفتـاة الرقيقـة المحبـة مثـل « نشـالة هانـم، ٥٣» لحسـن الصيفـي «سـكر هانـم، ٦٠» للسـيد بديـر، «الرجـل الثـاني، ٥٩» لعـز الديـن ذو الفقـار، بالإضافـة إلى مجموعـة أفلامهـا مـع فريـد الأطـرش مثـل «حبيـب العمـر، ٤٧» و«عفريتـة هانـم، ٥٩» لـبركات ولـم يجمعهـا بتحيـة سـوى فيلـم «حبيـبي الأسـمر، ٥٨ » لحسـن الصيفـي.

لعبة الزمن بالست

تشـابهت النجمتـان في كـم القسـوة الـتي مرتـا بهـا في نهايـة حياتهمـا أيضًـا وليـس بدايتهـا فقـط، فلـم تنجـب أي منهمـا، ممـا دفـع تحيـة لتبـني طفلـة أوصـت عليهـا الفنانـة فيفـي عبـدة قبـل وفاتهـا، بينمـا ربّـت سـامية قسـمت ابنـة رشـدي أباظـة الـذي تزوجتـه تحيـة ٣ سـنوات، بينمـا تـزوج مـن سـامية بعـد ذلـك واسـتمر زواجهمـا أكـثر مـن ١٨ عامًـا، وبينمـا توفـت تحيـة مفلسـة تمامـا تراكمـت الديـون والضرائـب عـلى سـامية، ممـا اضطرهـا إلى عودتهـا للرقـص وهـي في سـن السـتين لتعـتزل مـرة أخـرة بعـد تسـديد ديونهـا.

أحلام ميرفت ونجلاء

أطلقهمـا بـرج القـوس سـهمين نافذيـن نحـو السـينما والنجـاح وقلـوب الملايـين الـتي أذابتهـا قطعتـان مـن الأنوثـة الفاتنـة، الأولى هـي نجـلاء فتحـي، والثانيـة هـي ميرفـت أمـين، الـتي بـدأت نجوميتهـا في فيلـم «أبي فـوق الشـجرة، ٦٩» لحسـين كمـال أمـام عبـد الحليـم حافـظ، بعـد أن أسـند لهـا الـدور واختـار لهـا إسـمها الفـني كمـا فعـل مـع نجـلاء أيضًـا.

قدمـت نجـلاء في نفـس العام ٥ أفلام دفعـة واحدة كان من بينهـا «غـرام تلميـذه» لحلمـي حليـم، و«صراع المحترفـين» لحسـن الصيفـي، لتبـدأ المنافسـة بـين النجمتـين وتسـتمر طـوال فـترة السـبعينيات، حيـث كانـت فاتـن حمامـة قـد تخطـت حاجـز الأربعينيـات مـن عمرهـا، بينمـا تخطـت سـعاد حسـني ونادية لطفـي حاجـز الثلاثينيـات. صحيـح أن الإنتـاج السـينمائي كان قـد تقلـص ووصـل إلى ٤٠ فيلمًـا سـنويًا بسـبب تصفيـة مؤسسـة السـينما وإحجـام الدولـة

عـن إنتـاج الأفـلام، لكـن المجـال كان مفتوحًـا لنجمـات شـابات يجـددن دمـاء السـينما ويلعـبن أدوار طالبـات الجامعـة ومرحلـة العشرينيـات، فشـهد صعـود نجمـات أخريـات مثـل شـمس البـارودي وناهـد شريـف وسـهير رمـزي، اللـواتي نجحـن جماهيريًّا في بعـض أعمالهـن، لكـن ظلـت أعمـال نجـلاء وميرفـت هـي الأكـثر تمـيزًا ونجاحًـا بسبب عـدم اعتمادهـا عـلى الإثـارة فقـط، بـل توفـرت لهـا نصـوص جيـدة إخـراج متمـيز.

على جسر النجومية

في جولـة السـبعينيات تفوقـت ميرفـت عـلى نجـلاء مـن حيـث الكـم، إذ قامـت ببطولـة ٧٣ فيلمًـا كان مـن أبرزهـا «ثرثـرة فـوق النيـل، ٧١» لحسـين كمـال و«السـكرية، ٧٣» لحسـن الإمـام و«حافيـة عـلى جـسر الذهـب، ٧٦» لعاطف سـالم، مقابـل ٥١ لنجـلاء كان أهمهـا «حـب وكبريـاء، ٧٢» لحسـن الإمـام « دمـي ودموعـي وابتسـاماتي، ٧٣» لحسـين كمـال و» اسـكندرية ليـه، ٧٩» ليوسـف شـاهين.

في الثمانينيـات تبلـور التنافـس واسـتمر بـين النجمتـين، فظلتـا همـا الأكـثر قـدرة عـلى الجمـع بـين الموهبـة والحضـور والاختيـارات الجيـدة ب ٢٩ فيلمًـا لميرفـت مقابـل ١٧ لنجـلاء، إلا أن القيمـة الفنيـة لتلـك الأعمـال

أبقـت النجمتـين الكبيرتـين في نفـس المكانـة الجماهيريـة، فقدمـت نجـلاء «حـب لايـرى الشـمس، ٨٠» لأحمـد يحـيى، «سـعد اليتيـم، ٨٥» لأشرف فهمـي، « أحـلام هنـد وكاميليـا» لمحمـد خـان، بينمـا كان الأبـرز لميرفـت «سـواق الأتوبيـس، ٨٢» لعاطـف الطيـب، « تزويـر في أوراق رسمية، ٨٤» ليحـيى العلمـي، « زوجـة رجـل مهـم، ٨٨» لمحمـد خـان، و» الدنيـا عـلى جنـاح يمامـة» لعاطـف الطيـب.

كارت أصفر

في التسـعينيات قـل الإنتـاج السـينمائي بشـكل عـام لعـدة أسـباب كان مـن بينهـا حـرب الخليـج وتقلُّـص دور العـرض السـينمائي، ممـا أثـر عـلى إيـرادات الأفـلام في الداخـل والخـارج، وبالتـالي قلـة الإنتـاج، ولكـن ذلـك لـم يدفـع النجمتـين لقبـول أفـلام غـير جيـدة، فأنتجـت نجـلاء فيلـم «سوبر ماركـت، ٩٠» لمحمـد خـان، الـذي قامت ببطولتـه، ثـم قدمـت ٥ أفـلام أخـرى كان مـن بينهـا «كونشرتـو درب سـعادة» لأسـماء البكـري «الجـراح» لعـلاء كريـم، ثـم «بطـل مـن الجنـوب» لمحمـد أبـو سـيف، الـذي كان آخـر أعمالهـا السـينمائية، بينمـا قدمـت ميرفـت ٦ أفـلام فقـط لـم يحقـق أي منهـا نجاحًـا جماهيريًـا كان مـن بينهـا «ليـه ياهـرم» لمحمـد عبـد العزيـز، و»كارت أحمـر» لأسـامة الكـرداوي، لتعـود بقـوة في الألفينيـات بنجاحـات جيـدة بعد

انتعـاش الإنتـاج السـينمائي مـرة أخـرى، فقدمـت « أيـام السـادات، ٢٠٠١» لمحمـد خـان، و» مرجـان أحمـد مرجـان، ٢٠٠٧» لعـلي إدريـس، و»مـن ٣٠ سـنة، ٢٠١٦ « لعمـرو عرفـة، لتبلـغ أعمالهـا حـتى الآن ١٢٢ فيلمًـا في حـين بلغـت أعمـال نجـلاء ٨٣ فيلمًـا لـم يجمعهمـا مـن بينهـا سـوى فيلـم « أنـف وثلاثـة عيـون، ٧٢» لحسـين كمـال.

منافسـة نجـلاء وميرفـت الفنيـة الشرسـة والـتي قسّـمت جمهـور السـبعينيات حولهمـا إلى فريقـين لـم تمنـع وجـود صداقـة قويـة وحقيقيـة بينهمـا، ربمـا كانـت هـي الأقـوى بـين الثنائيـات الفنيـة المتنافسـة والمسـتمرة بنفـس المتانـة حـتى الآن، إنـه الفـن الحقيقـي حينمـا ينقـي الـروح ويبقيهـا رغـم كل شيء شـفافة ومحبـة.

نادية ونبيلة.. الجولة الأولى

امرأتان هزتا عرش الإيرادات. ربما سيكون هو العنوان الأنسب لفيلم يجسد الصراع الفني بينهما حيث لم يشهد تاريخ السينما المصرية قبل نادية ونبيلة هذا النجاح الجماهيري المتواصل لنجمات أخريات بالإضافة إلى تهافت الموزعين الخارجيين على أفلامهما المطلوبة عربيًا أيضًا بشكل كبير، كانت النصوص تُكتب خصيصًا لهما وكانت دور السينما منقسمة مناصفة بين أفلامهما، محققة أعلى الإيرادات التي كان يكفي لبلوغ أعلى معدلاتها أن يقرأ الجمهور على الأفيشات اسم نبيلة عبيد نجمة مصر الأولى، أو نجمة الجماهير نادية الجندي، التي كان فيلم « بمبة كشّر، ٧٤» لحسن الإمام هو بداية نجوميتها وتحقيقها نجاحًا جماهيريًا كبيرا بعد ١٥ عامًا قضتها في تأدية الأدوار الصغيرة، كان من بينها «صغيرة على الحب، ٦٩» لنيازي مصطفى، و«ميرامار، ٦٩» لكمال الشيخ.

كسبت نادية جولة الجمهور وترتب على فيلم « بمبة كشّر» تنصيبها نجمة صف أول، عكس نبيلة التي قدمتها السينما كبطلة في فيلمها الثاني « رابعة العدوية، ٦٣» لنيازي مصطفى، لتعود بعده للبطولات المشتركة طوال فترة الستينيات والسبعينيات مثل «السيرك، ٦٨» لعاطف سالم و«الاعتراف الأخير، ٧٨» لأشرف فهمي، إذ لم تحقق تعادلًا حقيقيًا في النجومية مع نادية إلا في بداية الثمانينيات بفضل موهبة تمثيلية مذهلة واختيارات جيدة لكبار المؤلفين والمخرجين، استحقت بسببها أن يتصدر اسمها أفيشات أفلامها قبل الأبطال الرجال، كان أولها « العذراء والشعر الأبيض، ٨٣» لحسين كمال، في نفس الوقت استطاعت نادية أن تستعيد نجاح بمبة كشّر بحضورها الأخّاذ وإجادتها للرقص والإغراء في أول أفلامها في الثمانينيات وهو «الباطنية» ثم «وكالة البلح، ٨٢» لحسام الدين مصطفى، حيث استطاعت أن تصنع خلطة خاصة وفرت لها كافة عوامل الجذب الجماهيري، بدءا باختيار الموضوعات و«اللزمة» الخاصة بكل شخصية تقدمها، وصولا إلى مشاركة ألمع النجوم الرجال في البطولة معها، مثل فريد شوقي ومحمود ياسين وأحمد زكي وفاروق الفيشاوي في «الباطنية»،

ليستمر إيقاع المنافسة مشدودًا بين النجمتين حتى نهاية الثمانينيات بأفلام عديدة، كان أبرزها لنبيلة فيلم «التخشيبة» من إخراج عاطف الطيب، و«اغتيال مدرّسة» للمخرج أشرف فهمي، ولنادية «ملف سامية شعرواي»، و«الإرهاب» اللذين أخرجهما نادر جلال.

اغتيال الآخر

في التسعينيات استمر نجاح نادية رغم تكرارالشكل الفني لأفلامها في تلك الفترة، وتعاملها مع مخرج واحد هو نادر جلال في ٨ أفلام من مجموع ١٢ فيلمًا تنوعت بين الجاسوسية والاستعراض والحركة مثل «حكمت فهمي» و«امرأة هزت عرش مصر» و«اغتيال»، كما تنوعت أدوار نبيلة أيضًا بفضل تعاونها مع عدد أكبر من المؤلفين والكتاب الكبار الذين قدموا لها أفلامًا هامة في تلك المرحلة كان أبرزها «كشف المستور» لعاطف الطيب، و«الآخر» ليوسف شاهين.

إلا أن الإكليشه القائل بأن نادية كسبت جولة الإيرادات بينما استطاعت نبيلة لمس أكتاف نادية في جولة النقاد بسبب اعتمادها على الإثارة فقط لم يكن قولًا دقيقًا، إذ قدمت نبيلة الإغراء والمشاهد الساخنة في معظم أعمالها، ولكنه كان مغلفًا في الغالب بغلاف شرعي، على

حد تعبير الناقد محمود قاسم، فهي الزوجة المخلصة في «العذراء والشعر الأبيض، والوحل وكشف المستور» مما جعل الجنس هنا يبدو شرعيًا ومرتبطًا بامرأة مقبولة الشخصية.

رغبة (غير) متوحشة

في الألفينيات تعادلت النجمتان بفيلمين لكل منها لم يحققا نجاحًا جماهيريًا، فقدمت نبيلة «قصاقيص العشاق» لسعيد مرزوق، و«مفيش غير كدا» لخالد الحجر، بينما قدمت نادية «بونو بونو» لعلي عبد الخالق ثم آخر أفلامها «الرغبة» من إخراج على بدرخان، الذي حققت من خلاله نجاحًا نقديًا واسعًا، وحصلت عن دورها فيه على العديد من الجوائز والتكريمات، لتثبت أنها نجمة الجوائز وليس الجماهير فقط، وتتعادل مع نبيلة بنقطة فوز بعد تحقيقها عددًا من الجوائز والتكريمات عن العديد من أفلامها، التي بلغت ٨٢ فيلمًا مقابل ٥٨ فيلمًا لنادية.

لم يجمع بين نادية ونبيلة أعمال فنية مشتركة ولم تربط بينهما علاقة صداقة طويلة مثل ميرفت ونجلاء، تعلق نبيلة: « لم يكن هناك خلافات، ربما تراكم بيننا الجليد بسبب منافستنا الفنية، وهو ما لم يمنع طلبي

مـن الموسـيقار جمـال سـلامة أن يصحبـني إليهـا لتعزيتهـا في وفـاة والدتهـا بصفتــه صديقًـا مشــتركًا، وفي منزلهـا أهديتها مصحفًـا قبلتـه هـي بـروح طيبـة مـا زالـت سـائدة بيننـا حـتى الآن».

- الأعمال الكاملة للناقد سامي السلاموني.

- السينما المصرية والإثارة، محمود قاسم.

- عفريته هانم، محمد إبراهيم طعيمة.

- فن كتابة المسرحية، لاجوس أجري.

7 تُهم طاردت يوسف شاهين

ظل يوسف شاهين اسمًا مثيرًا للجدل مخرجًا وإنسانًا، وسواء كنت من محبيه أم لا، فلا بد أنك استمعت - أو ربما اقتنعت- بواحدة على الأقل من ٧ تهم، حاصرته حيًا وربما لاتزال تطارد روحه حتى الآن رغم مرور ٨ سنوات على رحيله!

7 - أفلامه مبهمة وغير مفهومة

رسخ انطباع الغموض والإبهام في أفلام يوسف شاهين، لدى المشاهد المصري والعربي بسبب مايسمى في تاريخه بمرحلة السيرة الذاتية، وهي الأفلام التي جسد خلالها تفاصيل طفولته وعقده ومشاعره، لكنها لم تزد عن ٤ أفلام من مجموع ٣٦ فيلمًا هي «اسكندرية ليه، ١٩٧٩» و«حدوتة مصرية، ١٩٨٢» و«اسكندرية كمان وكمان، ١٩٩٠» و«اسكندرية، نيويورك، ٢٠٠٤»، وربما كان للشكل الفني الذي اختاره شاهين للأفلام الأربعة، دورًا في صعوبة تلقيها لدى المشاهد العادي، حيث اختار

أن يقدم رؤيته الذاتية لوقائع حياته، لا أن ينقلها حرفيًا كما هي، لأنه لا يريد أن يصنع فيلمًا وثائقيًا، بل أراد أن يجسد مواجهة مع النفس، يستدعي من خلالها أفكاره وأحلامه وذكرياته.

في فيلم «حدوتة مصرية» على سبيل المثال، جسّد شاهين المرحلة التي خضع فيها لعملية جراحية في القلب، من خلال محاكمة ذاتية تُعقد في قفصه الصدري، كمواجهة بين طفولته التي جسدها يحيى الصغير، ذلك الطفل المتمرد، وبين يحيى الكبير - شاهين نفسه - محاسبًا إياه على كل ذنوبه وخطاياه وهزائمه، في مزيج مبتكر بين الواقع والخيال.

ولا شك أن شاهين قد تأثّر في تلك الأفلام بمخرجين عالميين كبار، أمثال الإيطالي فلليني، والفرنسي تريفو، والأميركي وودي آلان، إلا أنه يظل المخرج المصري والعربي الوحيد، الذي قدّم أفلام السيرة الذاتية للمخرج، بهذا الكم من التكثيف والجرأة، وهي نوعية صعبة جدًّا لعدة أسباب (قد نتناولها لاحقًا) منها ما تتطلبه تلك الأفلام، من تعرية كاملة لأدق مشاعر وعورات المخرج النفسية والحياتية أمام المشاهدين، وإلا فقدت مصداقيتها، بالإضافة إلى دقة اختيار التفاصيل، وصياغتها في إطار فني يشعر المشاهد بالتعاطف معه،

يقول نـزار قبـاني: عـلى المبـدع الحقيقـي ألا يخجـل في نقـل سريـره أمـام المـارة عـلى قارعـة الطريـق!!

٥- فشله جماهيريًا وضعف إيرادات أفلامه

في عالـم السـينما، وربمـا الفنـون عمومًـا، يصعـب اعتبـار الفشـل الجماهـيري تهمـه أو خطيـة تنتقـص مـن قـدر المبـدع، لأن تاريـخ السـينما المصريـة بالتحديـد، يؤكـد الفشـل الجماهـيري لعـدد كبـير مـن الأفـلام، الـتي تضمنتها قائمة أفضـل ١٠٠ فيلـم سينمائي مـصري «أعدّهـا النقـاد وحيـد فريـد وأحمـد الحـضري وكمـال رمـزي» مثـل «المومياء» لــ شـادي عبـد السلام، و«شيء مـن الخوف» لـ حسين كمـال، و«بين السما والأرض» لــ صـلاح أبـو سيف وغيرهـم، وفي المقابـل سـنجد عـددًا كبـيرًا جـدًا مـن الأفلام عديمـة القيمـة الفنيـة، والـتي نجحـت جماهيريًـا بالرغـم مـن ذلـك، بـدءًا بأفـلام «مسـتر إكـس» لفـؤاد المهنـدس، مـرورا بــ «لمـبي» محمـد سـعد وصـولًا لأفـلام الملاهـي الليليـة لمغنيهـا المفضـل سـعد الصغـير وراقصاتـه، طبعًـا هـي ليسـت قاعـدة، أن يسـقط الفيلـم الجيـد وأن ينجـح الـرديء، ولكـن في نفـس الوقـت، جماهيريـة أي فيلـم ليسـت دليـلًا كافيًـا عـلى جودتـه فنيًـا والعكـس، بـل إن الجمهـور ذاتـه، قـد يعشـق أفلامًـا لـم يحالفهـا الحـظ في عرضهـا السـينمائي الأول.

5 - دعوته للمثلية الجنسية

في السينما المصرية لم يكن شاهين هو المخرج الأول ولا الوحيد، الذي قدّم في أفلامه أبطالًا مثليين، فعلها سمير سيف في «قطة على نار» و«الراقصة والسياسي» و«ديل السمكة»، وصلاح أبو سيف في «الطريق المسدود» و«حمام الملاطيلي»، وعلي عبد الخالق في «عتبة الستات» و «المزاج»، وكمال الشيخ في «الصعود إلى الهاوية»، وعاطف الطيب في «كشف المستور» وغيرهم.

كما استمر المخرجون في تقديم شخصيات مثلية في أفلامهم بعد وفاته، مثل داوود عبد السيد في « رسائل البحر»، وهادي الباجوري في «واحد صحيح»، ومروان حامد في « عمارة يعقوبيان»، وخالد يوسف في «حين ميسرة «، وهاني فوزي في «أسرار عائلية».

والحقيقة أن تقييم الفنون لا بد أن يتم وفق المعايير الفنية فقط، لا المعايير الأخلاقية أو الدينية، وإلا تحتم علينا مصادرة أدب نجيب محفوظ لأنه - أدب دعارة - حسب تصريح قيادي سلفي سنة ٢٠١١، أو تحطيم التماثيل العارية لمايكل أنجلو أو بوذا كما فعلت طالبان سنة ٢٠٠١.

ساعة منعت شاهين من الوصول للأوسكار

بالرغم من أن ساعات اليد كان قد تم اختراعها في زمن الفيلم، إلا أن واقعة ارتداء أحمد مظهر ساعة يد ضمن أحداث فيلم صلاح الدين ليست إلا شائعة غير صحيحة، إذ لم تكن هناك ساعة في يد أحمد مظهر، أو غيره كما أشيع، والحقيقة أنه في تاريخ السينما المصرية، الذي يبلغ تقريبا ٤٠٠٠ فيلم، منذ إنتاج أول فيلم مصري درامي ناطق طويل سنة ١٩٣٢ وحتى الآن، لابد من التذكير بأنه لا يوجد مخرج مصري واحد، صعد ليتسلم جوائز أهم وأعرق ثلاثة مهرجانات سينمائية في العالم، هي (كان - فينيسيا - برلين) سوى يوسف شاهين.

ربما أقصى ما تم تحقيقه هو التنافس على إحدى الجوائز ما يعتبر خطوة مهمة بالطبع «٢٤ فيلمًا مصريًّا تنافسوا في (كان) دون الفوز بأي من جوائزه منها «الحرام» لبركات «بعد الموقعة» ليسري نصر الله و«اشتباك» لمحمد دياب وجائزة واحدة حصدها في «برلين» العام الماضي فيلم «آخر أيام المدينة» للمخرج تامر السعيد.

لذا يظل شاهين وحده، هو من حقق للسينما المصرية

تلك الإنجازات الكبرى، في المهرجانات الثلاثة الأهم والأعرق بين آلاف المهرجانات السينمائية حول العالم، حيث حصل على الدب الفضي في برلين ١٩٧٩، والسعفة الذهبية في كان ١٩٩٧، وجائزة اليونيسكو في فينيسيا ٢٠٠٣.

و ربما يدرك قيمة تلك الإنجازات من احتك عالميًا بوسط ثقافي أو سينمائي، وواجه ذلك السؤال المتكرر الكاشف: ماذا حققت السينما المصرية من جوائز وإنجازات، في المهرجانات الكبري مقابل السينما الإيطالية والإيرانية والجزائرية.

3 - تطابق الأداء لممثليه

«محمود المليجي فضل ٣٠ سنة بيضرب الناس، طب ازاي عرفتوا إنه ممثل كويس؟! لما اشتغل في الأرض» بهذه الجملة يرد شاهين بنفسه على اتهام قولبة ممثليه في أداء موحد.

ولا شك أن هناك ممثلين تأثروا بالطريقة «الشاهينية» في الآداء، لكن وكما رد هو كانت هناك أسماء عديدة قدمتها سينما شاهين بشكل فاجأ الجمهور، وأعاد اكتشاف قدرات أصحابها على رأسهم العظيم محمود المليجي، والقديرة محسنة توفيق.

هذا بالإضافة إلى قائمة الأسماء التي اكتشفها شاهين من الأساس، مانحًا لهم مساحات إبداعية حرة في أدوارهم الأولى ضمن أفلامه، أمثال: عمر الشريف، محسن محي الدين، عبد الله محمود، أحمد سلامة، روبي، يسرا اللوزي، هاني سلامة، أحمد وفيق وغيرهم.

2. أفلامه متشابهة

ليس عيبًا أن يتخصص المخرج في شكل فني يغلب على معظم أو كل أفلامه، كما غلبت الواقعية على أفلام عاطف الطيب مثلًا، أو البوليسية على كمال الشيخ، أو الكلاسيكية على عز الدين ذو الفقار، ولكن التنوع الأكثر ثراءًا في نوعية أفلام المخرج الواحد، كان ولا شك من نصيب يوسف شاهين، حيث قدم الفيلم الكوميدي في «بابا أمين»، والغنائي في «أنت حبيبي»، والاستعراضي في «إسكندرية نيويورك»، والسيكولوجي في «باب الحديد»، والبوليسي في «الاختيار»، والسريالي في «حدوتة مصرية»، والسياسي في «جميلة»، والواقعي في «هي فوضى»، والتاريخي في «صلاح الدين»، والملحمي في «المهاجر». كما رصد في أفلامه التحولات الاجتماعية والسياسية لمصر، وناقش الظلم والقهر والفساد، ودافع عن الحق والمساواة وحرية الفكر، مؤكدًا على

أنها «المصير» لأن - الأفكار لها أجنحة - وربما الأقرب لعشق التنوع ذاته كان حسين كمال، وشريف عرفه، ولكن هناك نوعية أفلام تفرد شاهين بتقديمها حتى هذه اللحظة، بين المخرجين المصريين والعرب، مما ساهم ربما في امتلاكه النسبة الأكبر، من قائمة أفضل ١٠٠ فيلم في السينما المصرية بـ ١١ فيلمًا يحمل توقيعه.

1 - صنع من تلامذته نسخ مكررة منه

ربما يعتبر خالد يوسف، ويسري نصر الله هم أشهر تلامذة المخرج الراحل، لكن مالا يعرفه الكثيرون هو أن عددًا كبيرًا من المخرجين المصريين، بلغوا ١٢ مخرجا من أجيال مختلفة هم خريجو مدرسة يوسف شاهين منهم على بدرخان، داوود عبد السيد، خيري بشارة، محمد شبل، كمال منصور، خالد الحجر، رضوان الكاشف، محمد علي، عماد البهات، وأمير رمسيس، والمتتبع لأعمالهم يستطيع بسهولة إدراك استقلالهم الفني، بنسب متفاوته لكنها ملحوظة ومتباعده عن أستاذهم العظيم.

يوسف شاهين

- ن مواليـد ١٩٢٦، درس في كليـة فكتوريـا، وسـافر إلى الولايـات المتحـدة حيـث درس التمثيـل والإخـراج في ـامعـة باسـادينا، كمـا عمـل مـع رواد السـينما الإيطاليـة مثـل أورفانيلـلي.

ـوفي عـام ٢٠٠٨، بعـد أن أنجـز ٣٦ فيلمًـا روائيًـا طويـلًا و٦ أفـلام روائيـة قصيرة.

• سينما يوسف شاهين - سعاد شوقي

• سينما يوسف شاهين - محمد الصاوي

• المجموعة الكاملة للناقد سامي السلاموني

7 معجزات للساحرة نادية لطفي

عشرات الصور من عشرات الأفلام، التي لعبت بطولتها تداعت في ذهني، فور التقاطها سماعة التليفون، لترد على مكالمتي الهاتفية التي جرت بيننا عام ٢٠٠٧، قبل سفري الطويل خارج مصر حيث كنت أطمح في تسجيل حوار صحفي مطول معها.

ألو، أعادتها ثلاث مرات بصوتها المتهدج، الذي طالما انساب في أحلام صورتها لي أنثى مصنوعة من الكراميل المذاب، وإنسانه معجونة بالإحساس والموهبة.

لم تتغير نبراتها كثيرًا ولم تتخل عن رقتها قليلًا، لم أشعر من فرط تواضعها أني أتحدث إلى صاحبة «النظارة السوداء»، الأشهر في العالم العربي، أو أنشودة «المستحيل»، المكتوبة «على ورق سوليفان» بحوالي ٧٥ فيلمًا سينمائيًا، قدمت خلالها مجموعة من الأدوار شديدة التنوع، أثبتت من خلالها أنها ليست مجرد فنانة جميلة، بل ممثلة من العيار الثقيل، أوتيت

الموهبـة الفـذة والجمـال الأخـاذ.

• ي لويـز الحبيبـة المتدينـة في «صـلاح الديـن»، وفـردوس الرافصـة اللعـوب في «أبي فـوق الشـجرة»، وإلهـام المهندسـة المتمـردة في « للرجـال فقـط»، وريـري العاهـرة السحبـة في «السمان والخريـف»، ونـاني الفتـاة المنكسرة في «المسـتحيل»، وجينـا عضـوة العصابـة في «جريمـة في الحي الهـادئ»، ونادية منـاصرة حقـوق النسـاء في «عـدو المـرأة».

لـم تسـجن موهبتهـا واختياراتهـا الفنيـة في حـيز ملامحهـا الأوروبيـة الرقيقـة، أو أنوثتهـا الجذابـة الطاغيـة، لم تسـمح لنفسـها أن تخـاف، مـن تجسـيد شـخصية تسـتفز طاقاتهـا التمثيليـة، وتحرضهـا عـلى المزيـد مـن الإبـداع والجمـوح.

عـشرات الوجـوه والشـخصيات تقمصتهـا، في فـترة أُطلقـت فيهـا العديـد مـن الألقـاب عـلى زميلاتهـا الموهوبـات، فـكان لقـب السـندريللا لسـعاد حسـني، وسـيدة الشاشـة لفاتـن حمامـة، وملكـة الإغـراء لهنـد رسـتم، وقطـة وملاك الشاشـة، لشـادية ومريـم فخـر الديـن.

لـم يكـن صعبًـا أن تختـار لقبًـا يقـترن باسـمها لإضافـة المزيـد مـن الهالـة الشـهية حـول الفنـان، ولكنهـا لـم تفعـل، لـم تعاتـب أحـدًا ولـم تغضـب مـن أحـد، فضّلـت «بـولا محمـد مصطفـى» أن تظـل حـتى الآن معروفة باسـمها

الفـني، مجـردًا مـن أي ألقـاب، ناديـة لطفـي، وفقـط، لـم تؤمـن يومًـا بـشيء أكـثر مـن موهبتهـا، الـتي كانـت كافيـة جـدًا لجنـون الجمهـور بهـا، وعشـقهم الجـارف لموهبتها وسـحرها.

لـم تهاجـم زميلاتهـا يومًـا كمـا فعـل بعضهـن يومًا آخـر، ظلـت تحترمهـن، وتقـدر مكانتهـن بمحبـة وصدق. اسـتأذنت سـعاد حسـني قبـل أن تمثـل دورهـا في فيلـم «الخطايـا»، احترامًـا لمشـاعرها، حيـث كان مـن المفـترض أن تقـوم بـه سـعاد، قبـل أن يسـتقر عليهـا المخـرج حسن الإمام. ودّعـت فاتـن حمامـة بحـسرة أليمـة يـوم وفاتهـا، وأكـدت أنهـا سـتظل سـيدة الشاشـة العربيـة في تسـجيل سريـع بـاكي مـن موقـع الجنـازة.

بكـت زميلاتهـا هنـد رسـتم ومريـم فخرالديـن، وأصرت عـلى وداعهـن إلى مثواهـن الأخـير رغـم صعوبـات صحيـة شـديدة تكبدتهـا في سـبيل ذلـك.

لـم تهتـم ناديـة لطفـي في مشـوارها سـوى بالـدور المعـروض عليهـا، وإيمانهـا باختلافـه عمـا قدمتـه مـن قبـل، اسـتراتيجية مبدعـة تجـري الموهبـة والصـدق في شرايينهـا مجـرى الـدم، ليكـون الناتـج عـشرات الأدوار الـتي لعبتهـا، ربمـا كان أبرزهـا في اعتقـادي الخـاص «٧» شـخصيات

ساهمت، بشكل أساسي في إجماع النقاد والجمهور على تقدير موهبتها وقيمتها الفنية.

7 - مادي

يعتبر فيلم «النظارة السوداء» من أشهر الأفلام المأخوذة عن روايات إحسان عبد القدوس، والذي أعد له السيناريو لوسيان لامبير، وأخرجه حسام الدين مصطفى عام ١٩٦٢، قدمت نادية لطفي في هذا الفيلم شخصية «مادي»، التي تمر بعدة تحولات جذرية، على مستوى الوعي والمشاعر، حيث نراها في البداية فتاة أرستقراطية، تعيش حياة فارغة سطحية بلا هدف، أو قيم تحد من استمتاعها بالمتع المادية للحياة.

الأمر الذي لجأت بسببه لارتداء « النظارة السوداء»، كتجسيد لرؤيتها «المغبشة» للواقع من جهة، ولمنع أي محاولة اختراق، قد تكشف ما بداخلها من مشاعر اختارت لها أن تبقى خفية، إلى أن تتعرف على عمر « أحمد مظهر» الذي يسعى إلى تغييرها، والتفتيش عن العمق الإنساني داخلها.

تشربت نادية لطفي روح الشخصية حتى الثمالة، وعبرت عما تمر به من خواء روحي واستهتار بكل القيم، بدءًا

مـن الحركـة وطريقـة المـشي وتدخينهـا للسـجائر، وصـولًا لـكل ماتمـر بـه مـن صدمـات نفسـية وإدراكيـة، تتطلـب فهـم مثقـف واعٍ بأبعـاد الشـخصية، وماتخفيـه مـن مـراره وإنسـانية، فـ «مـادي» ليسـت فارغـة إنسـانيًا مـن الداخـل، ولكنهـا فاقـدة للأمـل والحافـز والإيمـان بجـدوى الحيـاة، وهـو مـا أدتـه بنضـج ونعومـة، لـم تجعلنـا نفقـد تعاطفنـا معهـا، حـتى قبـل تغيرهـا ووصولهـا للحظـة التنويـر.

في الغالـب لـم يكـن ليتحقـق ذلـك النجـاح المذهـل لمـادي، وسـط شـخصيات روايـات إحسـان عبـد القـدوس السـينمائية، وربمـا للفيلـم نفسـه، لـو أن ممثلـة لا تمتلـك هـذا الكـم مـن الموهبـة قـد جسـدت الشـخصية.

6 - إلهام أو مصطفى

لا يذكـر النقـاد هـذا الفيلـم كثـيرًا، في رصدهـم لأهـم أدوار ناديـة لطفـي، ولكـني أؤمـن بمقولـة الكاتـب إبراهيـم عيـسى رئيـس تحريـر مجلـة «فُرجـة» السـينمائية بأنـه «ليسـت هنـاك أفـلام خفيفـة وأخـرى ثقيلـة، ولكـن أفـلام جميلـة وأخـرى سـيئة»، وهـو مـا تثبتـه الشـعبية الكبـيرة الـتي يتمتـع بهـا هـذا الفيلـم حـتى الآن.

يحـكي الفيلـم الـذي أخرجـه وألّفـه محمـود ذو الفقـار سـنة

١٩٦١، عن إلهام «نادية لطفي»، مهندسة شركة البترول، لتي تقرر السفر إلى الصحراء لاستكشاف آبار بترول جديدة، بعد انتحالها وزميلتها سلوى «سعاد حسني»، صفة وشكل الرجال، لرفض الشركة سفر النساء، بحجة عدم قدرتهن على تحمل ظروف العمل هناك.

وتوالى الأحداث حتى تنجح إلهام وسلوى في مهمتهما، اثبتا للجميع قدرة المرأة وضرورة مساواتها عمليًا بالرجل.

رغم طرافة عقدة الفيلم وخفة ظل مفارقاته وأبطاله، إلا أن آداء نادية لطفي «وسعاد حسني بالطبع» للشخصية المتنكرة في مظهر الرجال، طوال أغلب أحداث الفيلم ببساطة ورقة، ودون أن تقع في فخ التسطيح أوالافتعال، الوارد غالبًا في آداء ذلك النوع من الشخصيات، قد ساهم بشكل أساسي في نجاح الفيلم، واقترابه من قلوب الجماهير بهذا الشكل حتى الآن.

5 - إلهام

في نفس العام قدمت نادية لطفي واحدًا من أهم أدوارها، لدى النقاد والجمهور في فيلم «الخائنة» إخراج كمال الشيخ، وسيناريو عبد الحي أديب وموسى

صبري عن قصة لإبراهيم الورداني، حيث قدمت دور «إلهام» الزوجة الجميلة، التي تعاني من إهمال زوجها أحمد « محمود مرسي «، واحتياجها العاطفي غير المشبع، حيث يفاجأ بخيانة زوجته مسجّلة بالصدفة في شريط مصور، لإحدى رحلاتها الترفيهية ليصر على معرفة عشيقها والانتقام منه ومنها، لكنه يظل مجهولًا حتى نهاية الفيلم، الذي ينتهي بانتحارها.

الفيلم دليل دامغ على جرأة نادية لطفي، وانحيازها الكامل لإنسانية الشخصية التي تلعبها، فالزوجة الخائنة لا يتعاطف معها المشاهد المصري والعربي مهما كانت المبررات، ولكنها كفنانة حقيقية ومثقفة أدركت الجانب الإنساني لإلهام، تفهمت معاناتها والضغوط التي حاصرتها، بدءًا من شكوكها هي في خيانة زوجها لها، وصولًا لإحساسها بألم الوحدة والافتقاد، ومايسببه من عطش عاطفي وجنسي للإنسان، مما يدفعه لارتكاب أخطاء ترفضها أعراف المجتمع، في أطر صارمة تدينه هو وحده على طول الخط.

تقرر إلهام الانتحار سريعًا، تفضل أن تعفي زوجها الذي تحبه بصدق من مشقة الانتقام وتبعاته، رافضة إلحاحه في معرفة شريك النزوة، لتؤكد له قبل ثوان من لفظها أنفاسها الأخيره: «واحد مالوش أي قيمة في

حباتي، أنا محتجتش غير حبك».

4 - ريري

ربما تصنَّف ريري في «السمان والخريف»، الذي أخرجه حسام الدين مصطفى عام ١٩٦٧، عن قصة نجيب محفوظ، وسيناريو أحمد عباس صالح كفتاة ليل، إلا أنها لم تحلم سوى بالحب. ظلت أنقى منه ومن الزوجة الأرستقراطية، التي لم تتحمل معاناة زوجها عيسى «محمود مرسي»، ولم تحبه يوما، عكس ريري، التي أحبت عيسى حبًّا حقيقيًا يدركه هو جيدًا حيث يسألها ذات مرة «ايه احسن حاجة نفسك فيها » فتجيب ببساطه: «أفضل جنبك على طول»، ليعيد سؤالها عن حلمها بعيدًا عنه، فتقول: «يبقالي بيت وراجل يحبني وأحبه».

يتخلّى عنها عيسى في قسوة شديدة بعد حملها منه، فهو غير قادر على الخلق أو النجاح في أي علاقة، ولا يرغب في الاتصال بالواقع بأي شكل من الأشكال، نتيجة لخسائره الشخصية التي فقد بسببها وظيفته ونفوذه، إلى أن يكتشف بأن له بنتًا من ريري، فيحاول العودة للإندماج في الواقع، وتخطي هزائمه والقيام من تحت أقدام الماضي، المتشبث به أسفل تمثال سعد زغلول.

لعبت نادية لطفي كعادتها دورًا مختلفًا كليا عن كل ما قدمته من قبل، فهي ظاهريًا فتاة ليل، ولكنها في الحقيقة إنسانة منكسرة وأنثى مذبوحة، تملك روحًا ممزقة ومتشبثة بالتطهر والحب، قدمته بأداء متوازن بعيدًا عن المبالغة أو الفجاجة، وباهتمام متكرر ودؤوب، بأدق تفاصيل الشخصية شكلًا ومضمونًا.

3 - قسمت

تقدم نادية لطفي في فيلم «على ورق سوليفان، ١٩٧٥» شخصية «قسمت»، الزوجة التي تقيم علاقة عاطفية بهشام «محمود يس» الشاب الذي يصغرها في العمر، إلا أنه يبهرها بخبراته وحيويته، فتنجذب له تدريجيًا، على خلفية جفاف ونفور عاطفي، تعاني منه في علاقتها بزوجها الدكتور أحمد الجراح الشهير «أحمد مظهر»، والذي تكتشف أبعادًا جديدة في شخصيته، بعد رؤيتها له في غرفة العمليات لأول مرة، مما يعيد لها توازنها النفسي والعاطفي، وتقرر أن تظل مخلصة له، معلنةً اعتبار علاقتها بهشام مجرد نزوة، أشبه بورق سوليفان ظاهرها جذاب لكن باطنها ليس كذلك.

ساهمت القصة الناعمة ليوسف إدريس، والسيناريو والحوار المرهف لكوثر هيكل، والإخراج النابض الذي

لحسين كمال، في جعل الفيلم تحفة رومانسية بلا شك، إلا أن قسمت أو نادية لطفي في هذا الفيلم قدمت منجمًا من العواطف والانفعالات هو وجهها المدهش، كما عبر الناقد الراحل سامي السلاموني، الذي أكد على أنها ممثلة عظيمة، وصلت إلى قمتها في هذا الفيلم.

2 - ناني

لم يحظَ فيلم «المستحيل »، المأخوذ عن قصة الدكتور مصطفى محمود عام ١٩٦٥، بشهرة كافية ولا احتفاء نقدي، ربما لانتمائه لمرحلة التجريب في مسيرة المخرج حسين كمال، والذي يعتبر أول أفلامه، التي نفذها بعد انتهائه من دراسة الإخراج في باريس.

لعبت نادية لطفي في الفيلم دور «ناني»، الفتاة الرقيقة المغلوبة على أمرها، والتي تعاني من أزمة نفسية شديدة، شبيهة بما يمر بها حلمي «كمال الشناوي»، فالاثنان فرضت عليهما تفاصيل حياة عملية وعاطفية، تحاصرهما في تحدٍ أشبه بالمستحيل.

تعبر نادية لطفي من خلال شخصية «ناني» عن صراع داخلي عميق، ينتج عن أزمتها في البحث عن الذات، معتمدة على الإحساس العميق بأزمة الشخصية،

ورغباتهـا المكبوتـة في التحـرر، والثـورة ضـد كل مـا تـم فرضـه عـلى حياتهـا وإرادتهـا، بتعبـيرات أدارتهـا بإحسـاس مرهـف للغايـة، ربمـا لـم تأخـذ حقهـا في الإشـادة بهـا، رغـم الصعوبـة الشـديدة الـتي تمتـاز بهـا هـذه الأدوار، المعتمـدة عـلى الـصراع الداخـلي للشـخصية، الـذي لابـد وأن يشـعر بـه المتفـرج، في كل خلجـات الممثـل وروحـه النابضـة عـلى الشاشـة.

1 - زينة

ماالـذي يدفـع ممثلـة في أوج نجوميتهـا مثـل ناديـة لطفـي، أن تقبـل دورا عبـارة عـن ٦ لقطـات، أمـام ممثلـين جـدد، في فيلـم غـير جماهـيري، لمخـرج يقـدم فيلمـه الـروائي الطويـل الأول؟ ربمـا كان تفتـح مـدارك الفنـان، ومقـدار ثقافتـه وتحـيزه لفنـه، هـو مـا يشـكل بوصلـة اختياراتـه، وقيمـة تاريخـه ومشـواره الفـني.

وهـو مـا يفـسر قبـول ناديـة لطفـي لـدور «زينـة» في فيلـم «المومـيـاء» (المعـروف أيضًـا باسـم «يـوم أن تحـصي السـنين»)، قبل أن تعـرف بأنـه سـيتم اختيـاره، بعـد مرور ٤٤ عامًا عـلى إنتاجـه عـام ١٩٦٩، كأهـم فيلم مصري وعربي في الاستفتاء، الـذي شـارك فيـه ٤٧٥ سينمائيًا عربيًـا برعايـة مهرجـان دبي عـام ٢٠١٣، وأن يُعـاد عرضـه قبـل ذلـك، في

مهرجان كان عام ٢٠٠٩، بعد محاضرة يلقيها عنه المخرج العالمي مارتن سكورسيزي، والذي قام بإعادة ترميمه، كواحد من تحف العالم السينمائية.

ولا شك أن إخراج شادي عبد السلام هو ما أنتج فيلمًا، تكمن أهميته في أسلوبه المتفرد الخاص وشكله السينمائي الخالص، على حد تعبير الناقد سمير فريد.

لا شيء تقليدي في هذا الفيلم، لا القصة ولا البناء ولا السرد ولا الحوار ولا الموسيقى ولا الملابس ولا حركة الممثلين، بل لقد تحرر الفيلم من ارتباطه بحقبة معينة، لإيصال ماهو متجاوزًا للحقب والأزمنة، حيث يبكي ضياع التراث المصري، وتركه عُرضة للصوص الحضارة والثقافة والقيم، كواحدة ضمن عشرات الرسائل والإبداعات الفلسفية والفكرية والبصرية في هذا الفيلم. (ربما نخصص عدة مقالات عنه لاحقا).

والحقيقة أن نادية لطفي في هذا الفيلم، لم تعطي درسًا بليغًا في فن التمثيل فقط، ولكن في أن حجم الدور ليس هو المحدد لإبداع الممثل.

يقول الناقد سامي السلاموني عن نادية لطفي، عندما اكتشف ونيس « أحمد مرعي » حقيقتها كعاهرة، واصفًا نظرة عينيها بأنها «أفضل مامثلته نادية لطفي في عملها

السينمائي كله» ويستطرد «فقد قالت بعينيها العميقتين أشياء كثيرة دون أن تنطق حرفًا واحدًا».

في اعتقادي أن ذلك العمق، الذي أشار إليه ناقدنا الكبير، هو المخبأ الحقيقي للغز اسمه سحر نادية لطفي، أميرة القلوب، التي لم أزل أتحسس عطرها، في حلم لا ينتهي وحوار لم يتم.

نادية لطفي

ولـدت عـام ١٩٣٧. اختـار لهـا اسـمها الفـني المنتـج رمسـيس نجيـب، استلهامًا مـن شـخصية ناديـة في فيلـم (لا أنـام).

- لهـا نشـاط كبـير في الدفـاع عـن حقـوق الحيوانـات الـتي تعشـقها

- أقامت في القصر العيني لمساعدة جرحى ١٩٧٣.

- لازمـت العديـد مـن زملائهـا الفنانـين في رحلـة مرضهـم مثـل شـادي عبـد السـلام، جـورج سيدهم، سـمير خفاجـه وغيرهـم.

--

- لقاءات وحوارات مسجلة ومنشورة للفنانة نادية لطفي

- الأعمال الكاملة للناقد سامي السلاموني

المحبوب رغم أنفه

وسامة الممثل لم تكن ميزة على طول الخط، بل حاجزًا يمنع أحيانا آداءه إلا أن تطور فن الماكياج السينمائي أدى إلى تخطي تلك المشكلة، بعد أن أتاح إمكانيات كبيرة في تغيير ملامح الممثلين والممثلات، إلى الحد الذي لم يعد فيه شكل الممثل يمكن أن يحول بين أدائه لأي شخصية.

محمود عبد العزيز أوتي ما لا يستطيع تغييره أي ماكياج في العالم، وهو حب الناس، الذي ظل حائلًا بين كراهية الجمهور لشخصيات أدّاها، كان من المفترض أن يكرهها بشدة.

براعة التلقائية

سنة ١٩٨٥ قدم الساحر في فيلم «إعدام ميت» للمخرج علي عبد الخالق، شخصية الشاب المصري منصور، الذي يتجسس على بلده لحساب إسرائيل، بينما تسعى

المخابـرات المصريـة أن تـزرع مكانـه أحـد ضباطهـا، هـو شـبيهه عـز الديـن، لمعرفـة أسرار المفاعـل النـووي الإسرائيـلي، ضمـن إحـدى جـولات الـصراع الاسـتخباراتي بين الموسـاد والمخابـرات المصريـة.

ورغـم أن الفيلـم حـاول أن يقـدم عـدة حيـل، لكسر حـدة كراهية الجمهـور للممثـل الـذي سيؤدي شـخصية منصور، بإسناد دور ضابـط المخابـرات المـصري لنفـس الممثـل، إلا أن موهبـة وحضـور محمـود عبـد العزيـز ظلـت كاسـحة، لـكل مـا يمكـن أن ينفِّـر الجمهـور مـن الشـخصية، ممـا دفـع صناعـه فيمـا يبـدو إلى اتخـاذ قـرار اغتيالـه في النهايـة، عـلى يـد والـده، لإدانـة الخيانـة ليـس أكـثر، كعقوبـة تحُجـب خفـة ظـل النجـم الراحـل، في آدائـه لـدور منصـور، الـذي أداه كبهلـوان محـترف، يسـير ببراعـة عـلى شـعرة رفيعـة، عـلى حـد تعبـير الناقـد عـلي وجيـه، دون أن يفقـد توازنـه، ودون أن نفقـد نحـن اسـتمتاعنا بمشـاهدته للحظـة، في كل مـرة يُعـاد فيهـا عـرض هـذا الفيلـم عـلى الفضائيـات حـتى الآن.

تلون ساحر

بعـد عـام واحـد، قـدم النجـم السـاحر مسلسـله الأشـهر «رأفـت الهجـان»، الـذي حقـق نجاحًـا اسـتثنائيًا، اسـتطاع

أن يخلي الشوارع من سياراتها وضجيجها، على حد وصف الكاتب إبراهيم عيسى، ذلك المشهد الذي ظل عنوانًا للفن وعنوان محمود عبد العزيز على حد تعبير عيسى، فنيًا لا يسع تحليل المسلسل بأجزائه الثلاثة سوى مجلد ضخم، يليق بنص صالح مرسي، وإخراج يحيى العلمي، وموسيقى عمار الشريعي، إلّا أن أبواب النجاح التي فُتحت لذلك المسلسل، على امتداد الوطن العربي، كانت مفاتيحها الذهبية بين يدي ساحرْه وبطله الرئيسي محمود عبد العزيز، الذي استطاع في مسلسل واحد أن يقنعنا بشخصيته كنصاب، ومزور محترف، يمتلك ٦ أسماء مختلفة و٤ جوازات سفر، قبل أن يقرر ظابط المخابرات محسن ممتاز «يوسف شعبان »، أن يزرعه وسط المجتمع الإسرائيلي، ليتحول إلى بطل قومي، يعشقه الجماهير ويستمتع بأدائه كبطل قومي، بنفس قدر استمتاعه بأدائه كمزور، محتشدًا أمام شاشات المقاهي، في مشهد لم يتكرر، إلا لمتابعة مباريات الأهلي والزمالك في نهائيات الدوري.

بين عز الدين في «إعدام ميت» و«رأفت الهجان»، لم يسقط محمود عبد العزيز في فخ التكرار، أو النمطية التي قيدت آداء العديد من الفنانين، إما لمحدودية الموهبة، أو لبخل الاجتهاد، لكن عبد العزيز الذي برع

في أدائه لشخصية الجاسوس في العملين، أدرك جيدًا هذا الفخ، واستطاع أن ينسج تفاصيل داخلية وشكلية، لتميز أداءه وتفصل تمامًا بينه في العملين، فالهجان الذي كان نصابًا محترفًا ومزورًا، لم يفقد وطنيته أو حبه لبلده، وهو ما عبر عنه الضابط محسن ممتاز، الذي كان متخوفًا من مدى ولائه الوطني، لكنه سرعان ما تأكد منه، ليكلفه بالمهمة التي اختاره من أجلها، لما يتميز به من صفات عديدة، أهمها الحذر باعتباره أحد أهم مؤهلات الاحتيال، بعد أن اضطر إلى اللجوء إليه لمواجهة ظروفه، بعكس منصور الفاقد تمامًا لهذا الانتماء، حيث يعمل جاسوسًا ضد وطنه بالفعل، دون مبررات قوية قدمها السيناريو، بل إن والد منصور يرفض خيانته ويقتله عقابًا عليها في نهاية الفيلم، روح منصور التي استطاع عبد العزيز أن يتشربها، ويقدم لنا شخصية نفعية، لا تتورع عن الخيانة، أقنعتنا تمامًا بما تجاهله السيناريو، فنراه مثلًا يُقبّل أخته، بشكل يقترب من الاستمتاع أحيانًا، وهو ما يفسر رغبتها في إطلاق شهوتها المكبوتة تجاهه، فور علمها أن الساكن معها الآن ليس شقيقها، بل شبيهه ضابط المخابرات المصرية.

على أبواب شخصية منصور الجاسوس في إعدام ميت، تخلى محمود عبد العزيز عن وسامته، وأدوار الرومانسية، التي صدّرته في أفلامه السابقة، أحد أهم وأنجح «جانات» السينما المصرية وفرسان بطلاتها الفاتنات، كان من بينها ثنائياته الخالدة مع الرائعة نجلاء فتحي، في عدة أفلام مثل «وداعا للعذاب، ٧٨»، و«حب لا يرى الشمس، ٨٠ « للمخرج أحمد يحيى، و«أقوى من الأيام، ٧٩» لنادر جلال، و«أنا في عينيه، ٨١» لسعد عرفة، ومع نبيلة عبيد في «العذراء والشعر الأبيض، ٨٣»، و« أرجوك أعطني هذا الدواء، ٨٤ «) لحسين كمال، بالإضافة إلى بطولاته مع نجمات أخريات، مثل سعاد حسني وميرفت أمين وسهير رمزي ويسرا.

بل إنه اقتحم قلعة أدوار الشر، بجرأة أكبر في فيلم «البرئ» لعاطف الطيب، الذي قدمه في الفترة الفاصلة بين «إعدام ميت» و«الهجان»، دون وضوح السبب بالتحديد، الذي أدّى لقبول النجم الراحل ذلك الدور، وعدم خشيته من كراهية جمهور، لا يُحسن الفصل بين مشاعره تجاه الشخصية التي يراها على الشاشة، وبين الممثل الذي يؤدي تلك الشخصية، وهو ما أدى،

إلى امتناع فنانين كبار، عن آداء أدوار الشر مثل القديرة الراحلة فاتن حمامة، التي لمست عدم تقبل الجمهور لها في تلك النوعية من الأدوار، حين فشل فيلمها «لا أنام، ٥٧» للمخرج صلاح أبو سيف، الذي جسدت فيه، دور الشر الوحيد في مسيرتها السينمائية الطويلة.

والحقيقة أن مجرد قبول ممثل لأداء شخصية سادية، بهذا التعقيد مثل «توفيق شركس «يعتبر مَحكًا خطيرًا، واختبار تمثيلي يمنح صاحبه إما نجاحًا مبهرًا أو سقوطًا أكثر إبهارًا، خاصةً إذا كان النجم المشارك في البطولة هو أحمد زكي، بكل حضوره وموهبته، الذي جسد شخصية أحمد سبع الليل بكل سذاجته ونقائه، أغلب الظن أن محمود عبد العزيز أدرك كل هذا، وقرر أن يقبل التحدي واثقًا في قدراته وحب الناس له، ولكنها ثقة لم تنقلب إلى غرور يؤدى إلى الاستخفاف، بل فهم متعمق لتركيبة الشخصية، شديدة التعقيد والخصوصية، وهو ما أعدنا اكتشافه بعد الإفراج عن الفيلم، وتكرار إذاعته على الفضائيات، ليتابع الجمهور انفعالات عبد العزيز في آدائه، ومعايشته المذهلة، دون أن تكتمل كراهيتنا له، ليس لمشكلة لدى النجم الكبير، ولكن لمشكلة لدينا نحن، وهي حبنا له هو شخصيًا، واستسلامنا لقدراته الخارقة في إبهارنا، حتى بأكثر النماذج البشرية المنفرّة،

والتي نجح في اصطحابنا إلى أعماقها الخفية، وعالمه ا
المعقد، إنها قدرة ساحر على امتلاك قلوبنًا، لا تملك
أمام وهجه إلّا أن تعشقه في كل ما يقدم.

- الفيلم السياسي، محمود قاسم.

- محظورات على الشاشة، أحمد شوقي.

فزورة نيللي التي لم يحلها أحد

• اا، لهـا صـلاح جاهـين حـين شـاهدها في الفوازيـر:
• «عالجتيـني مـن الاكتئـاب». بعدهـا طلـب أن يكتب لهـا
• فوازيرهـا الجديـدة، فأبـدع لهـا ولنـا «عروسـتي، ١٩٨٠»، ثـم
• الخاطبـة، ٨١»، ستشـعر الآن عنـد مشـاهدتها - بمعايـير
الزمـن - أن الإمكانيـات بسـيطة والخـدع بدائيـة، وبمعايـير
الإبـداع سـتدرك أن نيلـلي هـي الفـزورة الأجمـل والأعجـب،
لـن تعـرف بالتحديـد لمـاذا سـتعالجك بالبهجـة مثلمـا قـال
جاهـين، وهـل الحـل الأكـثر دقـة هـو: (جمالهـا الأخـاذ،
صوتهـا الشـجي، روحهـا العذبـة، أم قدراتهـا التعبيريـة
والحركيـة الفائقـة) اجتهـادي الشـخصي يقول أن كل ماسبق
بقيـادة حـس مرهـف، يديـر كالمايسـترو كل تلـك الهِبَـات،
هـو مـا شـكل مـن نيلـلي فـزروة كـبرى ليـس لهـا حـل
محـدد.

عـدة عوامـل سـاهمت بالطبـع في نجـاح تلـك الفوازيـر
عـلى الأخـص، عبقريـة البسـاطة في أفـكار وصياغـة صـلاح
جاهـين، الموهبـة الخلاقـة في رؤيـة فهمـي عبـد الحميـد،

ومزجـه لأول مـرة بـين الاسـتعراض والكرتـون والخـدع، لكن السر الأكـبر ظـل سـحر وحضـور نيللـي.

تـترات وحلقـات عروسـتي أو الخاطبـة، ستسـتمتع فيها أيضًـا برشـاقة موسـيقية عذبـه لحلمـي بكـر، وتصميم حركي مبدع لحسـن عفيفـي، بالإضافـة لجـودة عـدة عنـاصر مثل الملابـس والمونتـاج، وهـو مـا يفـسر قـدرة حلقـات تم تنفيذهـا بإمكانيـات ٣٧ عامًـا مضـت، عـلى إمتاعنـا حتى اليـوم، ليـس فقـط مـن بـاب النوسـتالجيا «الحنـين إلى المـاضي».

فـزورة نيللي بالتحديـد سـتزداد صعوبـة، إذا مـا استعرضنا تاريـخ الفوازيـر المزدحـم بأسـماء العديـد مـن الفنانـات، اللـواتي كان مـن بينهـن متخصصـات في الرقـص الـشرقي والغنـاء والباليـه، وبرغـم ذلـك، فـإن نتيجـة واحـدة جمعتهـن - باسـتثناء شريهـان - هـي: لـم ينجـح أحـد!، ربمـا لـم يدركـن أن الاسـتعراض ليـس مجـرد رقـص أو « اسـتعراض « للفسـاتين الغريبـة، وإنمـا طاقـة متفجـرة وحـس مرهـف، قـدرة متفـردة عـلى الإبهـار كمـا عرّفـه أحـد عباقرتـه يوسـف شـاهين، بقـدر صعوبتـه وزخـم تفاصيلـه بقـدر إمتاعـه وتأثـيره.

راجـع مثـلًا أفـلام فريـد اسـتر ومـارك سـاندريتش ووالـت

«بـرني وبـازبي بـيركلي، اخـتر نمـاذج مـن أشـهر الأفـلام الاسـتعراضية بـدءًا بـ «سـيدتي الجميلـة، ٦٤ My Fair Lady»، وصـولًا إلى «مـولان روج، ٢٠٠١ Moulin Rouge» و«شيكاجو، ٢٠٠٢ Chicago» ستتأكد حينها أن الاستعراض، الـذي يحرضـك عـلى الرقـص فـور انتهـاء الفيلـم قبـل خروجـك مـن قاعـة السـينما، مختلـف تمامًـا عـن مشـاهد رقصـات الكباريهـات والأفـراح، المحشـورة عـلى طريقـة السـينما المصريـة في صناعـة الفيلـم الاسـتعراضي، ذلـك التصنيـف الـذي لا تستحقه بالفعـل سـوى أفـلام معـدودة للغايـة منهـا «غـرام في الكرنك، ٦٧» و«مولـد يـا دنيـا، ٧٦».

باستثناء نعيمـة عاكـف، الـتي كانـت جديـرة بأعمـال مكثفـة تبروز قدراتهـا الاسـتعراضية الكبيرة، سـنجد أن نيللي هـي أول فنانـة عربيـة تقـدم الاسـتعراض بوضـوح وتنـوع، بـل وبمفهومـه العلمـي، ليـس فقـط بسـبب امتلاكهـا لأدواتـه بالكامـل، بـل لجديـة وشـغف حقيقـي أعطتـه لهـذا الفـن، مـن حيـث التدريبـات لفـترات تجـاوزت ٧ أشـهر قبـل رمضـان، وسـفرها إلى أوروبـا لتصميـم وتصنيـع الأزيـاء على نفقتهـا الخاصـة، الـتي كانـت تبلـغ تكلفتهـا أضعـاف أجرهـا، إلا أن ذلـك لـم يمنعهـا مـن تقديمهـا عـلى مـدى ١٢ عامًـا بدأتهـا بـ «صـورة وفـزورة» عـام ٧٥ مـع المخـرج المبـدع فهمـي عبـد الحميـد، الـذي حققـت معـه نجاحًـا سـاحقًا

أسفر عن تكرار التعاون بينهما ٧ سنوات متتالية.

في منتصف الثمانينيات أبدعت نيللي أكثر من أوبريت استعراضي من تأليف جاهين مثل «الأسانسير»، «التورتة» و«اللعبة» الذي أخرجه رحمي، ولعبت هي بطولته وصممت استعراضاته، كواحد من أجمل أوبريتات الأطفال الغنائية التي مزجت بين فنون الاستعراض والعرائس والسيرك، كما قدمت أيضًا مجموعة من أجمل أغاني الأطفال، التي حققت نجاحًا كبيرًا مثل «فراشة مزقططة» تأليف سيد حجاب لحن عمار الشريعي.

سنة ٩٠ فوجئ الجمهور المصري والعربي بنجمتهم الرائعة، تعود إلى دنيا الفوازير بكامل لياقتها وتوهجها، مع المبدع الراحل عبد السلام أمين الذي كتب لها «عالم ورق» من إخراج جمال عبد الحميد، و«عجايب صندوق الدنيا، ٩١»، و«أم العريف، ٩٢»، و«الدنيا لعبة، ٩٤» للمخرج محمد عبد النبي، لتختتم رمضانياتها الفاتنة بحلقات «زي النهاردة» لأشرف لولي عام ٩٥.

كنجمة سينمائية أبدعت نيللي في أكثر من ٨٠ فيلمًا، تقمصت من خلالهم مجموعة من الأدوار المتنوعة، التي أدّتها برهافة حس بالغة، أشاد بها العملاق

محمود مرسي، بعد انتهاء أحد مشاهدها معه في فيلم «الشحات، ٧٣ » مؤكدًا لها أمام الحاضرين أنها ممثلة رائعة، كما ظل عبد الحليم حافظ يصرح مرارًا بأمنيته في أن تكون بطلة أحد أفلامه، واختارها بالفعل لتشاركه بطولة مسلسله الإذاعي الوحيد «أرجوك لا تفهمني بسرعة»، قبل أن يذهب الدور إلى القديرة نجلاء فتحي، وهو ما لم يمنع توطد صداقته بها وزيارتها بانتظام، في كواليس مسرحيتها «كباريه، ٧٤»، قبل أن يكتشف قدراتها الخاصة في قراءة الفنجان التي اشتهرت بها بعد ذلك.

قدمت نيللي الكوميديا في أفلام «المراهقة الصغيرة، ٦٦» لمحمود ذو الفقار، و«دلع البنات، ٦٩» لحسن الصيفي، و«صباح الخير يا زوجتي العزيزة، ٦٩» لعبد المنعم شكري، كما لعبت أدوار بنت البلد في عدة أفلام مثل «دندش، ٨١» ليحيى العلمي، وأيضًا الأدوار المركبة التي كان أبرزها في فيلم «الوهم، ٧٩» لنادر جلال، بالإضافة إلى أدوارها الرومانسية في «طائر الليل الحزين، ٧٧» ليحيى العلمي و«الغول، ٨٣» لسمير سيف، و«أنا وانت وساعات السفر، ٨٨» لمحمد نبيه.

في المسرح أمام فريد شوقي كانت نيللي هي « الدلوعة» التي أحدثت في «سوق الحلاوة» أكثر من «انقلاب»،

تلـك المسرحيـة الـتي كانـت انقلابًـا حقيقيًـا في المـسرح المـصري، ومزيجـا غـير مسـبوق بـين الأوبـرا الغنائيـة والاسـتعراض والخـدع السـينمائية، الـتي أخرجهـا القديـر جـلال الشرقـاوي. نافسـت نيلـلي بألقهـا وحضورهـا في الفوازيـر هـلال رمضـان، تمامًـا كمـا نافسـت بشـدوها «هـات أحلامنـا يابابـا نويـل» عصافـير أشـجار الكريسـماس، بـدت دومًـا وجـه أعيادنـا المبتهـج حـتى أصبحـت طلتهـا عيـدًا جديـدًا، وإن كنـت أتمـنى أن يسـألها بابـا نويـل عـن أحـلام شـبابنا، الـتي غابـت عنهـا لسـنوات طويلـة، علّهـا تطـل علينـا في العـام الجديـد، أمـا هـي فـلا زالـت حـتى اليـوم قِبلـةً لزهـور العَبّـاد والفراشـات المزَقططـة، فـزورة لـم يحلهـا أحـد.

- في ٣ ينايـر ولـدت نيلـلي لأسرة فنيـة، فهـي الشـقيقة الصغـرى للفنانـة فـيروز (الطفلـة المعجـزة)، كمـا تربطهـا صلـة قرابـة بالفنانـة القديـرة لبلبـة.

- بالإضافـة للسـينما والفوازيـر قدمـت نيلـلي أكـثر مـن ١١ مسلسـلًا و٩ مسرحيـات.

- حصلـت عـلى عـشرات الجوائـز والتكريمـات في مـصر والعالـم العـربي تتويجًـا لمشـوارها الفـني الحافـل.

7 أسرار خاصة في أسطورة شريهان

لم أكن وحدي، ملايين المتيّمين تسابقوا في الحصول على صورها، ورسم فساتينها، وتسجيل فوازيرها على شرائط الفيديو، أسعدني الحظ برؤيتها على خشبة المسرح في «علشان خاطر عيونك» و«شارع محمد علي»، بالنسبة لي لم تكن مجرد مسرحيات ممتعة، بل رحلات إلى كوكب آخر لست فيه بحاجة إلى جاذبية تشد أقدامي إلى الأرض، لأن جاذبية شريهان كانت تطلقني إلى السماء، وإذا كان قلة من الممثلين استطاعوا أن يصبحوا نجومًا، فإن قلة من النجوم استطاعوا أن يصبحوا أساطير.

النجوم تعشقهم جماهير عريضة، ويسارع إليهم المنتجون وتتابع أخبارهم الصحف، ولكن أن تحيا نجمة بين أحلام الشباب، دون أن تغادرها جيلًا بعد جيل، ويظل تشبيه الفتيات بها هو أعظم غزل يتطلعن لسماعه، رغم غيابها سنوات طويلة، فهذا

يعني أنها ليست نجمة فحسب، بل أسطورة، تحقق ذلك لمارلين مونرو، سعاد حسني وشريهان، تلك الموهوبة التي توارت شمسها عنا، خلف غيوم المرض الخطير، منذ أن قدمت آخر أفلامها «العشق والدم» عام ٢٠٠٢ من إخراج أشرف فهمي، لتتكرر أخبار عودتها في مشاريع فنية لم تكتمل، حتى أعلنت الصحف عن نجاح العدل جروب في إقناعها أخيرًا، ببطولة عمل فني ضخم وقّعت عقده بالفعل، لتجدنا في انتظارها ١٤ عامًا باشتياق لم يخفت، وعشق لم تنكشف أسراره، باستثناء ٧ تحملها السطور التالية عن أسطورة شريهان.

7 أسرار الحادث والمرض

ماذا لو لم تكن لسندريللا زوجة أب قاسية، أذاقتها الحرمان والشقاء؟، أو كانت الساحرة الشريرة هي الأجمل من سنووايت، وأخبرتها المرآة بذلك فلم تضطر المسكينة للهرب، بين وحوش الغابات وأحراشها، ترى هل كن سيتحولن إلى أساطير، نحكيها لأطفالنا حتى الآن؟. لا أعتقد، لأن المعاناة تنقي الروح، وتُخلّد التجربة ببريقٍ لاينطفئ، يقول خليل جبران: «من المعاناة بزغت أقوى الأرواح، فأعظم الشخصيات معلمة بندبات».

لم تكن المعاناة على موعد مبكرمع شريهان فحسب،

بل كانت في انتظارها ربما حتى قبل ولادتها، فبعد أن انفصلت والدتها السيدة «عواطف هاشم» عن مديرالتصوير «أحمدخورشيد»، الذي أنجبت منه جيهان وعمر، تزوجت من عبد الفتاح الشلقاني، أحد أشهر وأكبر المحامين في مصر، زواجًا عرفيًا، خوفًا من تجنيد ابنها عمر، لأنه كان مصابًا بمرض نادرفي ذلك الوقت، وفي ١٢/٦ بحي الزمالك الراقي، تلد طفلتها الثالثة شريهان.

يتوفى الأب دون أن تشاهده ابنته، ليبدأ فصلًا دراميًا قاسيًا في حياتها، بالطعن في نسبها من قبل عمها للاستيلاء على ميراثها من العائلة، التي لم يثبت نسبها إليها إلا بعد ١٦ عامًا، عانت فيها صنوفا من الإساءات والتجريح، بعد سنة يتوفى أخوها وسندها الفني والإنساني عمر خورشيد، وتلحقه والدتها إلى الرفيق الأعلى سريعًا، ليتناثر ماتبقى من روحها حزنًا على أحبابها.

غالبت شريهان مرارة أحزانها بالغرق في الفن والاستعراض، فحققت نجاحات متتالية، بلغت ذروتها بمسرحية «علشان خاطرعيونك» ومن قبلها الفوازير و»ألف ليلة وليلة»، التي توجتها نجمة الوطن العربي بلا منازع.

بعد أقل من عام يُسحق جسدها إثر حادث، حامت

حوله إشاعات لم تُثبت الشواهد غيرأنه كان نتاج تصادم سيرمروع، تحكي شريهان « حصلي كسر في الحوض، وقطع في عصب الرجل اليمنى، واتفتت عظم ظهري ودخل في النخاع الشوكي، سافرت باريس وأجريت جراحة استغرقت ٩ ساعات، تلاها سلسلة من العمليات، كانت الخراطيم بعدها خارجة من كل مكان في جسمي بطني وحلقي ورجلي، عشت ٦ أشهر مش بتحرك ولا بنام من الألم و٦ أشهر تانية بحاول بس أقف».

حطم الحادث جسد شريهان لكنها لم تسمح له أن يحطم إرادتها، تقول: «كان الدكتور يقولي كمان شهر هتنزلي سلمة، يرجع بعد أسبوعين يلاقيني نازلة دور، عشت سنة تانية في علاج طبيعي عانيت فيها آلام لا يتحملها بشر، وأول ما رجعت مصر حصلي انتكاسة جديدة، رجعت بسببها باريس وقضيت سنة ثالثة بين العمليات والجبس، وأجمع ١٦ دكتور إني لو بس وقفت تاني هتبقى معجزة كبيرة».

وحدث أكثر من المعجزة عادت شريهان بعد رحلة العلاج لجمهورها، وقدمت فوازير «حاجات ومحتاجات، ٩٣» ومسرحية استعراضية ضخمة هي «شارع محمد علي»، كانت تؤدي يوميًا من خلالها ١٢ استعراضًا، ليقف طبيبها الفرنسي على خشبة المسرح، في نهاية إحدى

لمالي العـرض، الـذي دعتـه شريهـان لحضـوره مؤكـدًا: «لا استوعب أن مـن رقصـت منـذ قليـل، بـكل تلـك الطاقـة والمرونـة، هـي ذاتهـا مـن أتتـني في باريـس، بجسـد مهشـم تمامًـا قبـل سـنوات»، ولكنهـا فـسرت الـسر ببسـاطة في كلمتـين: «الإيمـان والإرادة»

عاشـت شريهـان بعـد ذلـك، تجـارب شـخصية مؤلمـة، عانـت فيهـا الكثـير مـن المشـكلات في حياتهـا الخاصـة، إلى أن تزوجـت مـن السـيد عـلاء الخواجـة، الـذي أنجبـت منـه ابنتهـا الأولى «لولـوة » ثـم «تاليـة القـرآن » بعـد ذلـك بسـنوات.

لكـن سـعادتها لـم تـدم طويـلًا، إذ أصيبـت بسرطـان الغـدد اللمفاويـة، أحـد أخطـر وأشرس أنـواع السرطانـات، ومـرة أخـرى يؤكـد الأطبـاء، أن شـفاءها شـبه مسـتحيل، قبـل أن يجـروا لهـا جراحـة، تسـتغرق ١٨ سـاعة، تـم فيهـا اسـتبدال عضلـة مـن الفخـذ بعضلـة الوجـه، بعـد اسـتئصالها مـع الـورم.

تقـول: «اتوضيـت قبـل دخـولي غرفـة العمليـات، كنـت على يقـين إني هقابـل ربنـا، بعـد تأكيـد الأطبـاء أن الناجـين مـن المـرض ده لا يتعـدوا ١ ٪، بعـد العمليـة خضعـت لعـلاج كيمـائي طويـل ومؤلـم، وصـل وزني بسـببه لأكـتر مـن ١١٧

كيلو، ملامحي اتغيرت وشكل جسمي، وفي الكعبة لقيت مصليات سمعوا صوتي فقالولي انتي صوتك شبه صوت شريهان، يلّلا ندعيلها»، لتكمل باكية: «الله يسامحكم دعيتولي كتير، أنا دلوقتي فخورة بالمرض، وبابتلاء ربنا ليا، ويحب الناس اللي حاوطني».

6 الكاميرا تعشق أحيانًا

حين سُئلت الفنانة زبيدة ثروت عن سر سعاد حسني قالت «الكاميرا كانت بتحب وشها»، عن نفسي لم أفهم الجملة، ولم يستطع تفسيرها لي عدد من أصدقائي المخرجين والمصورين، رغم تأكيدهم أن حب الكاميرا لوجه معين حقيقة، ليس لها سبب منطقي حتى الجمال، شريهان امتلكت وجهًا مصريًا بمعايير جمال عالمية، جعل منها أيقونة لا يشبهها أحد، فكان لابد أن تقع الكاميرا في غرامها،

(شَعر شريهان) مثلًا ظل هدفًا للمصففين وحلمًا لملايين السيدات والفتيات، حاجبيها، الكبرياء المدفون بين رموشها السمراء،

حكى لي الفنان التشكيلي عمر الفولي، أنه أثناء زيارة له في أوروبا قبل سنوات، فوجئ بعدد كبير من الشباب

يتابعون القناة المصرية مبهورين، ليناديه أحدهم مشيرًا إلى التليفزيون: كيف تدّعون أن نساءكم أقل جمالًا من أي بلد في العالم، بينما لديكم تلك الحسناء، إنها شريهان، الهاربة من إحدى لوحات محمود سعيد، والمخبأة في قلوبنا حتى الآن بنفس الفتنة والسحر.

٩ - الشغف

يقول الكاتب الأمريكي جون سي ماكسويل John C.Maxwell، في كتابه «الموهبة لا تكفي أبدا»: «إن الشغف هو ما يجعل الإنسان يستغل مالديه من موهبة أفضل الاستغلال، إنه شخص أكثر من موهوب، ولا يتوقف إلا إذا بلغ النجاح»،

في عيد ميلاد عمر خورشيد الأخ غير الشقيق لشريهان، كانت هي طفلة ترقص، ولكن ليس ككل من رقص، فالصغيرة التي كان كل سنتي فيها يشع موهبة ساطعة، أبهرت حضورًا كبيرًا، كان من بينه فريد الأطرش وعبد الحليم حافظ، الذي أخذ يصفق لها معجبًا، بعد أن اقترب منها وأهداها سلسلة تحمل عينًا زرقاء، متنبئا لها بمستقبل باهر، بينما أرسل لها فريد سلسلة تحمل عينًا أخرى في اليوم التالي.

أم كلثوم أيضًا شاهدتها ترقص في حفل زفاف أخيها، فصفقت لها طويلًا ثم قالت: «البنت دي لهلوبة وعندها أذن موسيقية، هتبقى نجمة كبيرة».

لكن البنت اللهلوبة لم تكتفي بما أوتيت من موهبة، فتعلمت الرقص الحديث في Covent Garden بانجلترا، والفلامنكو في إسبانيا، والرقص التعبيري في فرنسا، كما تعلمت الباليه الكلاسيكي والمائي والرقص الشرقي في مصر، بالإضافة لرقص الكلاكيت "Tap Dancin" على يد إبراهيم البغدادي مؤسس هذا الفن في الوطن العربي، التدريب الشاق والدؤوب، الناتج عن الشغف، هو أحد أسرار أسطورة شريهان.

4 - دعم العائلة

شكّل الوعي الفني لأسرة شريهان، وإيمانهم بموهبتها الفذة سرًا مهمًا في مسيرتها الفنية، فكانت والدتها هي المنتجة، لأول بطولاتها وهو مسلسل «المعجزة» عام٧٣ للمخرج أحمد طنطاوي، ثم فيلم «الخبز المر» لأشرف فهمي سنة٨٢

حرص أخوها عمر أيضًا على تعليمها السباحة، وركوب الخيل، والموسيقى، بالإضافة إلى دروس الإلقاء على

يد الفنان عبد الوارث عسر، الذي درّس لها كتابًا من تأليفه عن الخطابة، ليؤكد سريعًا أنها ليست في حاجة لتلك الدروس فموهبتها مكتملة تمامًا،

تحكي شريهان عن ذكريات الطفولة « كنت بقعد في حجر أم كلثوم، واسمع منها حكم كثيرة وكنت باحفظ اللي بتقوله، وكنت بقعد مع حليم وفريد الأطرش يوميًا، بحكم صداقتهم لأخويا عمر، اللي اتعلمت منهم كلهم كتير جدًا».

3 -موهبة الاستعراض واستعراض الموهبة

في محارة مغلقة كانت موهبة شريهان الاستعراضية، متوهجة تمامًا، ولكنها في انتظار خبير اللؤلؤ النادر، الذي يلتقطها ويقدمها للجماهير، وهو مافعله فهمي عبد الحميد أحد عباقرة الإخراج الاستعراضي في مصر، وأول من نقل فوازير رمضان من الراديو إلى التليفزيون، مبتكرًا لها الشكل الراقص في حلقات «صورة و٣٠ فزورة» بطولة القديرة نيللي، التي قدمتها بنجاح كبير، ٨ سنوات متتالية، تلاها سمير غانم بفوازير ناجحة أيضًا، مع شخصية فطوطة الشهيرة.

في عام ٨٥ قرر عبد الحميد تجديد دماء الفوازير، بأن

يدمجها مع حكايات ألف ليلة وليلة، مسندًا بطولتها للنجمة الشابة شريهان، التي صنعت منها عالمًا زاخرًا، بالموهبة والإبهار والأزياء الرائعة، على مدار ٣ سنوات متتالية، تُوجت بسببها ملكة الاستعراض والأناقة.

كانت الفوازير هي البوابة الكبرى، التي عبّرت من خلالها شريهان لقلوب الوطن العربي، بعد أن فاجأتهم بشكل مختلف وشخصية خاصة بشهادة الفنانة الكبيرة نيللي.

تكشف شريهان سر الفوازير «كنا بنجهز للفوازير ١١ شهر متواصلين، بنشتغل فيهم على كل التفاصيل، وكان بيشارك في صناعة الفوازير كبار مبدعي مصر، زي محمد الموجي وسيد مكاوي وحلمي بكر في التلحين، طاهر أبو فاشا وعبد السلام أمين في التأليف، وحسن عفيفي في تصميم الاستعراضات وغيرهم»

إبداع فنانين أفذاذ، في حضرة بطلة تمتلك موهبة خارقة لم تتكرر، جعل من فوازير شريهان سحرًا، يُخلي حرفيًا شوارع الوطن العربي، الذي كان يشاهد عرضها الأول في نفس اللحظة، على القناة الأولى المصرية قبل ظهور الفضائيات والإنترنت.

عام ٩٣ عادت شريهان بفوازير «حاجات ومحتاجات» تأليف سيد حجاب، وإخراج جمال عبد الحميد، لينعم

جمهورها بحلقات رائعة مع شخصية زئردة الكرتونية، قبل أن تفقد الفوازير بريقها، على يد عدد من النجمات، اللواتي افتقرن للموهبة، واعتقدن أن الفساتين الملونة وحدها، يمكن أن تبقيهن في ذاكرة الجمهور، بجوار القديرة الرائعة نيللي، أو الأسطورة شريهان.

2 رحيق الكبار

في السينما قدمت شريهان أفلامًا هامة، مع كبار مخرجي السينما المصرية كان من أبرزها «العذراء والشعر الأبيض، ٨٣»، و«قفص الحريم، ٨٦» لحسين كمال، و«الطوق والأسورة، ٨٦» لخيري بشارة، و«الحب والرعب، ٩١» لكريم ضياء الدين، و«يوم حار جدا، ٩٣» لمحمد خان، و«ميت فل، ٩٦» لرأفت الميهي، و«عرق البلح، ٩٩» لرضوان الكاشف.

كما قدمت الفيلم الاستعراضي «كريستال، ٩٣» لعادل عوض، الذي مر بظروف سيئة في تنفيذه، منها اعتذار الفنانة نيللي عن مشاركة شريهان البطولة، ووفاة الممثل صلاح قابيل قبل استكمال دوره، وهو ماحدث في «جبر الخواطر، ٩٨» حينما توفي مخرجه القديرعاطف الطيب، قبل استكماله لأعمال المونتاج، مما أثر على الشكل الذي خرج به الفيلم، كما عطّل خطة الطيب، بأن

تكون شريهان هي بطلة أفلامه لخمس سنوات قادمة.

نجومية شريهان وموهبتها، كانتا سببًا في ترشيحها لبطولة «سمع هس، ٩١» لشريف عرفة، و«المهاجر، ٩٤» ليوسف شاهين، و«نزوة، ٩٦» لعلي بدرخان، وغيرها من الأفلام التي اعتذرت عنها، ربما لما هو معروف عنها من تردد ودقة، بالإضافة لانشغالها بالمسرح الاستعراضي، عشقها الأكبر وعشقنا نحن أيضًا، حيث كتب لها القدير بهجت قمر اثنتين من روائع المسرح الاستعراضي المصري، هما «علشان خاطر عيونك» التي لاقت نجاحًا كبيرًا، من بطولة الكبير فؤاد المهندس وإخراج حسين كمال.

و«شارع محمد علي» مع الملك فريد شوقي إخراج محمد عبد العزيز، التي استمر عرضها ٥ سنوات، كانت تُغلق خلالها منطقة وسط البلد، مساء كل يوم، بسبب تزاحم جماهير شريهان حول مسرح ريفولي، الذي كان يُقدم عليه العرض قبل تحويله إلى سينما، بل كان الكثير من السياح العرب يقيمون ليلة واحدة في القاهرة، لمشاهدة ملكة الاستعراض في عرضها الحي على المسرح، ثم يعودون في اليوم التالي إلى بلدانهم.

تعترف شريهان بالفضل لعدد من الفنانين، الذين أثْروا

مرتها وتجربتها المسرحية، بتواضع يعتبر أحد أسرارها يقول: «اتعلمت من فؤاد المهندس الحس المسرحي، ومن محمد صبحي الالتزام واحترام المتفرج وإجباره على احترامي، من فريد شوقي اتعلمت الفرحة الحقيقية بظهور زملائي في أحسن صورة، وهو نفس الشيء اللي اتعلمته من عادل إمام، بعد ما سمح بتمثيلي دور البطولة معاه، في فيلم خللي بالك من عقلك».

1 - الصدق

صدق المشاعر وإخلاص العطاء، سر كُشف مجدَّدًا في أسطورة شريهان، فبعد غيابها بسبب ظروف مرضها الخطير، التي يعرفها الكل، لم يكن لأحد أن يلومها على عدم مشاركتها في الأحداث السياسية، التي ألمّت بمصر في الفترات الأخيرة،

لكن لأنها متبتلة بصدق في حب وطنها، فقد رأيناها في ثورة يناير ٢٠١١، مقيمة في ميدان التحرير دون أن تبالي بشهرة ونجومية، قد تُسبب لها متاعب أو مشقة، لتظهر بعدها في كل الأحداث السياسية، منفعلة بكل خلجاتها العاشقة بصدق لهذا البلد.

تختتم شريهان مقابلة لها، مع راندا أبو العزم مراسلة

قنـاة العربيـة من ميـدان التحريـر في ذلـك الوقـت، قائلة:
«أنـا مـا أسـواش حاجـة من غير مـصر، وفي أي أزمـة للبلد
دي، أنـا مواطنـة مصريـة مـش فنانـة، ولا أي حاجـة تانيـة».

• قدمـت شريهـان أكـثر مـن ٢٧ فيلمًـا، و١٢ مسلسـلًا، و٥
مسرحيات، وعـدة سـهرات تليفزيونيـة، بالإضافـة لتقديمها
فوازيـر رمضـان ٤ مـرات.

• فـازت بجائــزة أفضــل ممثلــة في مهرجــان الإسـكندرية
السـينمائي، مرتـين عـن فيلـم «يـوم حـار جـدا» و«العشق
والـدم»، كمـا كُرمـت في العديـد من المهرجانـات المحلية
والعالميــة، عــن دورهــا في «عــرق البلــح» وعــدة أفــلام
أخــرى.

سيناريست الإنتاج محمد حفظي

الماستر سين (Master scene) في السينما هو المشهد الرئيسي الذي يبلغ فيه الإبداع التمثيلي والإخراجي ذروته باعتباره المنعطف الأهم في دراما الفيلم التي ربما يلخصها بالكامل.

في المشهد السينمائي المصري لعام ٢٠١٦ هناك أفلام معدودة لعبت دور الماستر سين، لبلوغها ذروة الإبداع السينمائي، حيث نجح صانعوها في تقديم قيمة فنية ستحقق لها البقاء في ذاكرة المتفرجين حتى لتلك التي لم تنجح تجاريا حسب معايير شباك التذاكر، بنظرة سريعة على الأفيشات سنجد اسمًا مشتركًا بين منتجي تلك الأفلام هو محمد حفظي.

اشتباك

تجربة مختلفة وفيلم متفرِّد قدمه محمد حفظي كمنتج بالاشتراك مع جهات أخرى هو « اشتباك» من تأليف

خالد دياب وإخراج محمد دياب الذي شارك في التأليف أيضًا، يتطلب إنتاج فيلم مثل «اشتباك» شجاعة من نوع خاص لعدة أسباب، من بينها عدم تقبُّل الجمهور المصري في الغالب نوعية الأفلام التي تدور أحداثها في مكان محدود المساحة التي كان آخرها فيلم «بين السما والأرض، ١٩٦٠ » للمخرج صلاح أبو سيف حيث دارت أحداثه في مصعد مكتظ بنماذج إنسانية مختلفة فلم يحقق وقتها نجاحًا جماهيريًا رغم جودته الفنية، في الوقت الذي تدور فيه أحداث «اشتباك» بالكامل داخل عربة ترحيلات تضم شخصيات من فصائل سياسية واجتماعية مختلفة أثناء اندلاع ثورة يونيو ٢٠١٣، وهو ما يجعل المشكلة أكثر تعقيدًا لأن استعراض كافة الانتماءات السياسية تحول قطعًا دون إرضاء الجميع، لذلك تظل نقطة قوة الفيلم هي محاولته أنسنة شخصياته، وهو ما أهله لتحقيق نجاحا عالميا كبيرا تُوج باختياره لافتتاح مسابقة «نظرة ما» في مهرجان كان السينمائي الدولي بعد غياب السينما المصرية ٤ سنوات عن أروقته، كما حصد تقدير عدد كبير من النقاد العالميين ونجوم هوليوود، على رأسهم توم هانكس Tom Hanks، ودانيال كريغ Daniel Craig.

قبل زحمة الصيف

استقبل الجمهور المصري فيلم «قبل زحمة الصيف» في إبريل الماضي قبل زحمة دور السينما بأفلام الصيف، وشارك حفظي في إنتاجه للمخرج القدير محمد خان الذي استعرض فيه لمحات من حياة ٤ شخصيات يتمعون في إحدى قرى الساحل الشمالي على مدار ٤ أيام، لا شك أن عناصر عديدة في الفيلم تستحق التحليل لكن النظرة العامة للمشهد السينمائي لعام ٢٠١٦ تضيف إلى خصوصيته تحطيمه لتابو الألفينيات الذي أُطلق عليه مسمى « السينما النظيفة»، لخلوها من المايوهات والقبلات، صحيح أن قيمة العمل الفني لن تتضاعف لمجرد احتوائه على قبلة أو مايوه، لكن المشكلة الحقيقية التي سببتها تشدد الرقابة المجتمعية هي تحويل المايوة أو القبلة إلى بقعة تؤدي إلى اتساخ السينما وإدانتها أخلاقيًا، وهو ما يفسر الهجوم الشديد ضد حفظي وأسرة العمل بمجرد عرض الإعلان الخاص بالفيلم Trailer"» دون اعتبار لما يفرضه موضوعه من وجود المايوه الذي لم تمتنع المصريات عن ارتدائه حتى الآن في مثل تلك القرى التي صُور الفيلم في واحدة منها، أو الالتفات لقيمة المَشاهد المصنفة بالساخنة مثل مشهد الشاب والفتاة على الشاطئ الذي أبرز

رغبة هالة «مايا شيحه» المكبوتة من ناحية، وتناقض الدكتور يحي «ماجد الكدواني « من ناحية أخرى، بعد أن أمر الجنايني جمعة «أحمد داوود» بطردهما، رغم مراقبته لمفاتن هالة بالمنظار المكبر، تلك المشاعر التي تجنب تجسيدها المنتجون لتفادي إحجام الجمهور وتحجيمه بعبارة للكبار فقط، وهو ما يتضح بشدة في انقراض نوعية تلك الأفلام في ٢٠١٦ باستثناء «حرام الجسد» للمخرج خالد الحجر، ومن إنتاج جابي خوري، إلى جانب «قبل زحمة الصيف»، الذي حقق أرباحا لم تتجاوز ٨٠٠ ألف جنية أي أقل من ربع ميزانية إنتاجه، وهو ما توقعه حفظي في تصريحات سبقت العرض، مؤكدًا أن هدفه هو صناعة فيلم يعيش في ذاكرة المُشاهد، ويعيد اكتشاف قيمته حتى وإن تحقق ذلك بعد زحمة الصيف بعدة سنوات.

كدبة كل يوم

ليس هناك نموذج محدد لصناعة فيلم سينمائي جيد، كما أن اعتبار الكوميديا عاملًا يخرج بالفيلم عن العمق والقيمة هو خطأ شائع لست مؤمنًا به حقائق لم يكتفِ حفظي بتأكيدها في تصريحات سابقة وإنما بإنتاجه «كدبة كل يوم» من إخراج خالد الحلفاوي.

ا دور أحـداث الفيلـم في منتجـع سـياحي بـين مجموعـة
مـن الأصدقـاء الذيـن يسـتعدون لحضـور حفـل زفـاف
صديقهـم بينمـا تمـر علاقاتهـم الزوجيـة بمشـكلات عديـدة
يتم طرحهـا في إطـار كوميـدي، إلا أن «كدبة كل يـوم» تميّز
بصبغـة واقعيـة تمـت صياغتهـا ببسـاطة وحرفيـة لم تفسـد
روح الدعابـة الممتـدة طـوال أحـداث الفيلـم بحـوار راقٍ
ومواقـف محكمـة، أبـدع في كتابتهـا هشـام منصـور وشريـف
الألفـي، دون اللجـوء إلى حـشر أغـانٍ هابطـة أو رقصـات
مبتذلـة، ممـا سـاهم في تقديـم نمـوذج شـحيح في السـينما
المصريـة رغـم حاجتهـا إليـه وهـو الكوميديـا الاجتماعيـة
الراقيـة البعيـدة عـن الإسـفاف، بـل إن الفيلـم الـذي حقـق
نجاحًـا جماهيريًـا جيـدًا نجـح في طـرح أسـئلة عميقـة ومهمة
دون إقحـام أو تفلسـف مـن خـلال فشـل العلاقـات الـتي
اسـتعرضتها الأحـداث، عـن مقـدار السـعادة الـتي يجـب
أن نكتفـي بهـا في علاقاتنـا، وهـل يمكـن أن يعيـش الإنسـان
لنفسـه فقـط، عـلى اعتبـار أن الارتبـاط هـو كدبـة كل يـوم.

تأثير ممتد

بإضافـة فيلـم أو فيلمَـين عـلى الأكـثر إلى جانـب الأفـلام
السـابقة تكتمـل مجموعـة الأفـلام المصريـة الأهـم فنيًـا
في عـام ٢٠١٦، ممـا يجسـد دور حفظـي في إثـراء المشـهد
السـنمائي المـصري والـذي امتـد إلى السـينما العربيـة أيضًـا،

حيث ساهم في إنتاج فيلمَين من أهم أفلامها في نفس العام هما « ياطير الطاير» للمخرج الفلسطيني الكبير هاني أبو أسعد، و«المنعطف» للمخرج الأردني رفقي عساف، كما يشهد عام ٢٠١٧ عرض عدة أفلام متميزة منها « الشيخ جاكسون» لعمرو سلامة، و«علي معزة وإبراهيم» لشريف البنداري «تم عرضه»، لتنضم إلى إبداعات سيناريست الإنتاج السينمائي الراقي والمتمرد محمد حفظي.

7 مؤشرات تحدد تاريخ صلاحية محمد رمضان

لســت مــع فــرض الوصايــة، ولا التســابق نحــو البلــورة السـحرية، الـتي يزعـم معظمنـا امتلاكهـا، للتنبـؤ بالعمـر الفـني لنجـوم غالبًـا مـا خالفـوا تلـك التنبـؤات.

سـنة ٩٨ قـدم محمـد هنيـدي «صعيـدي في الجامعـة الأمريكيــة» كأول بطولــة لــه في الســينما، وكسـر الفيلـم الدنيـا بلغـة السـوق، في العـام التـالي، قـدم الراحـل عـلاء ولي الديـن فيلـم «عبـود عـلى الحـدود» أيضًـا، كأول بطولـة سينمائية، نقلتـه إلى مقعـد بجـوار هنيـدي في صـف النجـوم الأول، ليواجهــا حملــة هجــوم شرســة، تتوقــع انتهائهـم قريبًـا، باعتبارهـم مجـرد ظاهـرة مصيرها إلى الـزوال السريع لا محالـة، وكأن النجـاح الكبـير لابـد أن يـزول سريعًـا، بـل لقـد راجـت مـن ناحيـة أخـرى، فكـرة انتهـاء العمـر الفـني لنجـوم كبـار، عـلى رأسـهم عـادل إمـام، كتأثـير عكسي ومبـاشر لنجـاح جيـل هنيـدي وعـلاء.

صحيح أن هناك خلافات شخصية، قد تُنتج هذا النوع من النظريات، كما حدث لعادل إمام الذي كان على خلاف شخصي بالكاتب الصحفي إبراهيم سعدة، رئيس تحرير أخبار اليوم في ذلك الوقت، والذي روّج لزوال أمبراطورية الفنان، لكن المهم أن هذا هو ما نفاه الواقع، حيث استمر إمام وهنيدي في شغل مقعدين، بين نجوم الصف الأول حتى الآن، على الأقل من حيث التواجد وقيمة الأجور، مع التحفظ على معدلات الجودة الفنية، والنجاح الجماهيري المتباين لأعمال كل منهما.

والحقيقة أنه في أحيان كثيرة يتم الخلط، بين رفض الأعمال الفنية لبعض النجوم، وبين هدمهم شخصيًا تبعًا لذلك، لست أدري هل هو نتاج لحالة الإحباط، المسيطرة على الوضع العام، أم حبًا في احتكار التنبؤات واستشراف المستقبل، عادل إمام مثلًا لم يفشل في أواخر التسعينيات بسبب صعود جيل هنيدي، كما كان رائجًا، ولكن لأنه قدّم بالفعل أسوأ ٣ أفلام، قام ببطولتها في هذه الفترة هي: «رسالة إلى الوالي، ٩٨ «، « الواد محروس بتاع الوزير، ٩٩ «، «هاللو أمريكا، ٢٠٠٠ «، حيث عانت الأفلام الثلاثة فعليًا من عيوب، في النص والإخراج والتنفيذ، فجاء تراجع شعبية إمام، كنتيجة

سوء مستواهم الفني في الأساس، بدليل نجاحه في استعادة عرش الإيردات، تدريجيًا مرة أخرى في أفلامه التالية، « أمير الظلام، ٢٠٠٢ « ثم « التجربة الدانماركية، ٢٠٠٣».

رغم ذلك تظل النجومية منطقة غير آمنه ولا مقدسة، كما يظل النقد وتصحيح المسار حقًا أصيلًا للكتّاب والجمهور، ولكن ماهي المؤشرات الفعلية التي توضح تاريخ صلاحية نجومية الفنان؟ وما هو الدور الحقيقي الذي تلعبه الصدفة في ذلك؟

محمد رمضان هو آخر عنقود نجوم الصف الأول في مصر، والذي استُقبل صعوده بموجات عاتية من الهجوم، مابين رفض لنوعية أدواره الأخيرة، أو التشكيك في قدراته كممثل، وبالتالي استحقاقه لهذه النجومية، السطور التالية تحمل مؤشرات، مصدرها حقائق من مشوار رمضان نفسه، سواء الفني أو الشخصي، وبعض من آرائه ومواقفه المثيرة، التي قد لايعرفها الكثيرون، ربما نستعيض بها عن التنجيم المجاني والتنظير، القائم على إطلاق الأحكام الجزافية بالإشادة أو الهجوم، ما قد يقربنا فعليًا، من معرفة تاريخ الصلاحية الفنية للنجم الشاب عبر ٧ مؤشرات.

7 - الاجتهاد

أمـام مـسرح في وسـط البلـد، يقـف شـاب أسـمر رفيـع يجـر أقدامـه، بعـد أن أعيـاه اللهـاث لأكـثر مـن عامـين مابـين مكاتـب المخرجـين وشركات الإنتـاج، أمـلًا في تحقيـق حلـم عمـره بـأن يصبـح ممثـلًا، ينظـر إلى الأفيـش الـذي يحمـل اسـم المسرحيـة، وصـورة بطلهـا النجـم الكبـير، يلـح عـلى حـارس الأمـن في الدخـول للتحـدث إلى مخـرج المسرحيـة، أو نجمهـا المعـروف، أمـلًا في الحصـول عـلى دور صغـير، فيرفـض رفضًـا قاطعًـا، يدفعـه لمزيـد مـن التحـدي.

يتجـه الشـاب إلى الرصيـف المقابـل، في حالـة اسـتعداد للدخـول إلى المـسرح في غفلـة مـن الحـارس، وبعـد أن ينجح في ذلـك يجـد نفسـه وجهًـا لوجه أمـام النجم الكبـير، خلف الكواليـس ليباغتـه قائـلًا: «بقـالي سـنتين بـروح لمخرجـين ومنتجـين ومديريـن إنتـاج، عشـان نفـسي أمثـل، فيقولـوا لي سـيب صورتـك وهنكلمـك، وانـا لا شـعري أصفـر، ولا عينيـا خـضرا فمحـدش بيكلمـني».

فيفاجئـه النجـم: «وانـت عـاوز ايـه (يـا..)! انـت مـين انـت؟» الشـاب يبـدأ في التمثيـل مبـاشرة دون انتظـار موافقتـه أو رده، يضحـك النجـم ويستشـعر في الشـاب موهبـة حقيقيـة، فيُقسـم عـلى تقديمـه للجمهـور في نفـس

الليلـة، مـن خـلال المسرحيـة الـتي اقتحـم كواليسـها، كان النجـم الكبـير هـو سـعيد صالـح، والشـاب هـو محمـد رمضـان.

لـم يولـد رمضـان ليجـد نفسـه ابنـا لمخـرج، أو منتـج، أو نجـم يسـاعده في اختصـار الطريـق، كمـا حـدث مـع العديـد مـن النجـوم الحاليـين، الذيـن لايمكـن إنـكار موهبـة عـدد منهـم، ولكـن لا يمكـن أيضًـا إنـكار أن الطريـق بالنسـبة لهـم، كان ممهـدًا ومتاعبـه أقـل.

قصـة أخـرى مـن زمـن البدايـات، كان رمضـان أقـل مـن وجـه جديـد، حيـث يلعـب دورًا صغـيرًا في مسلسـل «حنـان وحنـين، ٢٠٠٧»، بطولـة النجـم العالمـي عمـر الشريـف، كان الـدور هـو ابـن البـواب ومسـاحته لا تتجـاوز ٦ مشـاهد، بعـد ارتـداء رمضـان لملابـس الشـخصية، شـعر أنهـا لاتناسـب الـدور، حيـث أنـه ليـس مـن المعقـول أن تكـون أنيقـة إلى هـذا الحـد، بـل مـن الطبيعـي أن تبـدو متسـخة وباليـة، فقـام بخلـع البلـوزة الداخليـة ليمسـح بهـا الشـارع، وزجـاج السـيارات، ثـم قـام بارتدائهـا مـرة أخـرى.

يشـاهده عمـر الشريـف بالصدفـة، فيقـترب منـه مندهشًـا مسـتفسرًا عمـا يفعلـه، ومـن هـو أصـلًا، متجـاوزًا توبيـخ إينـاس بكـر مخرجـة العمـل، ومديرة أعمـال الفنـان الراحـل،

الـذي يفاجئهـم بإعجابـه بالممثـل الشـاب، واهتمامـه الشـديد بتفاصيـل دوره، رغـم مسـاحته الصغـيرة، بعـد أن أدرك سر تصرفـه الغريـب، الـذي تسـبب في إصرار الشريـف عـلى مشـاهدة ذلـك الممثـل المبتـدئ، أثنـاء أدائـه لمشـاهده القليلـة، ليؤكـد أمـام أسرة المسلسـل بالكامـل، أنـه سـيصبح مـن أبـرز نجـوم مـصر، في الفـترة القادمـة لموهبتـه واجتهـاده المسـتمر، الـذي يعتـبر أفضـل مضـاد حيـوي لانتهـاء الصلاحيـة الفنيـة، وهـو مـا يؤكـده رمضـان قائـلا «مبيتقالـش لـكل محظـوظ نصيـب، أو لـكل ذكي نصيـب، بيتقـال لـكل مجتهـد نصيـب».

6 - البطل الشعبي

عــدد كبـير جـدًا مـن نجـوم السـينما المصريـة، عـلى مـدار تاريخهـا، حاولـوا شـغل مسـاحة البطـل الشـعبي، وهومصطلـح سـينمائي يقصـد بـه البطـل القـوي، المدافـع عـن حـق الضعفـاء والمظلومـين، دون أن يكـون فاقـدًا للحـس العاطفـي، فهـو الشـهم المحـب لأسرتـه وأصدقائـه، وهـو مـا ينطبـق عـلى شـخصية الفتـوة، أو بلغـة الحـاضر البلطجـي، والـذي تـم تقديمـه في عـدد كبـير مـن الأفـلام، منهـا « الفتـوة، ١٩٥٧»، و«الشـيطان يعـظ، ١٩٨١»، و«الحرافيـش، ١٩٨٦».

بما كان أكثر النجوم الذين ارتبطت بهم الجماهير، في إداله لهذه الشخصية هو فريد شوقي، في فترة طويلة من عمر السينما المصرية، امتدت من منتصف الخمسينيات حتى منتصف السبعينيات، لُقب خلالها بملك الترسو، وهو الجزء الأمامي من قاعة السينما، الذي كان يشغله أولاد وشباب الطبقة المتوسطة والشعبية، كما يعرّفها الناقد أمير العمري، الذي يؤكد على الشعبية الجارفة والغير مسبوقة، التي حققها النجم الكبير كبطل شعبي، حيث كان دور الشرطة في الفيلم تحصيل حاصل، بعد أن يكون قد قام بالواجب، على أكمل وجه قبل وصولها، فهو البطل الخارق قوي البنية، الذي يجدد قوته في كلمته الشهيرة «ياقوة الله»، قبل أن يسدد ضربته القاضية إلى أعدائه الأشرار، في آداء مشوبًا بخفة الظل والجدعنة، مما خلق شفرة خاصة، بين ملك الترسو وجماهيره الغفيرة.

بين عدد كبير من الفنانين، لعبوا أدوار البطل الشعبي في الفترة الأخيرة، مثل محمد رجب في «سالم أبو أخته»، وعمرو سعد في «حديد»، ومحمد فراج في « القشاش»، امتلك محمد رمضان العدد الأكبر من أسرار هذه الشفرة الخاصة، فهو يملك وجه ابن البلد، الذي تراه بسهوله في كل شارع شعبي مصري، وهو قوي البنية

خفيف الحركة، لا ينجح أحد في هزيمته، ولا ينجو أحد من ظلمه « ثقة في الله»، وهي «لزمة» أو كلمة سر شفرته الخاصة.

الصراع في أعمال رمضان، ينتمي لما يسمى في الدراما بـ « وحدة الأضداد»، وهو الصراع بين طرفين متكافئين، لا بد أن ينتهي بموت أحدهما أو كلاهما، وهو أحب أنواع الصراع للجماهير وأكثرها إثارة، كما حدث في مسلسل الأسطورة من صراع بين البطل وبين خصمه عصام النمر «محمد عبد الحافظ «، صحيح أن العمل انتهى بموت البطل أيضًا، وهو ماحدث في فيلم « عبده موته»، و» ابن حلال»، إلا أن ذلك لم يمنع الجمهور من الإشفاق عليه، والتعاطف معه، ما يعكس وعيًا واضحًا لكيفية شحن مشاعر الجماهير، وتحيزها للبطل رغم كل خطاياه، وهو سر جديد للشفرة السرية، التي فك طلاسما فريد شوقي، وامتلكها محمد رمضان، دون تقليد أو تجاهل، لعنصري اختلاف الزمن ونوعية الجمهور، تلك الشفرة التي صنعت من شوقي بطلًا شعبيًا، على مدار ٢٠ عامًا.

5 - تنوع الأدوار

لم تشهد السينما المصرية نجمًا، نجح في تغيير جلده

الفـني بشـكل كامـل، محافظًـا عـلى توهـج نجوميتـه، في كل مـرة يفعـل فيهـا ذلـك، مثـل فريـد شـوقي.

فمنــذ أن قدمــه يوســف يوهــبي في أول أفلامــه «مــلاك الرحمــة» عــام ٤٦، ظــل فريــد شــوقي يقــدم أدوار الــشر عــلى مــدار عــشر ســنوات، في أكــثر مــن ٥٠ فيلمًــا، ليقــرر التوقـف عـن العمـل عـام ٥٥، بعـد أن كان يقـدم مـن ١٠ إلى ١٧ فيلمًــا ســنويًا، فالنجــم الــذكي أدرك فــراغ الســاحة الســينمائية مـن أبطالهـا الرجـال، خاصـةً بعـد وفـاة أنـور وجــدي، مــا جعلــه يقــرر أن يقــدم نفســه مؤلفًــا وبطــلًا، لفيلمــين مــن أنجــح أفلامــه، همــا «رصيــف نمــره ٥»، و»النمــرود»، لتبــدأ مرحلــة البطــل الشــعبي أو «وحــش الشاشـة «، الـتي استمرت قرابـة ٢٠ عامًـا، تخللتهـا أعمـال كوميديـة واجتماعيـة ناجحـة أيضًـا، مثـل «صاحـب الجلالة، ١٩٦٣»، و»٣٠ يــوم في الســجن، ١٩٦٦»، ليفاجــئ الجمهــور مـرة أخـرى في منتصـف السـبعينيات، بتغيـير جلـده الفـني، بعــد أن أدرك بلوغــه ٥٥ عامًــا وافتقــاده للياقــة البدنيــة، اللازمــة لآداء أدوار الحركــة.

يبـدأ فريـد شـوقي مرحلـة جديـدة تمامًـا، كان أولهـا فيلـم «ومــضى قطــار العمــر» عــام ٧٥، الــذي حقــق نجاحًــا جماهيريًــا كبــيرًا، تبعــه أفــلام منوّعــة أحبهــا الجمهــور أيضًــا، مثــل « الســقا مــات، ١٩٧٧ «، و»شــاويش نــص

الليـل، ١٩٩٠»، و«دمـوع صاحبـة الجلالـة، ١٩٩٢»، محققًـا علـى مـدار ٢٠ سـنة أخـرى نجاحًـا جماهيريًـا ونقديًـا، لا يقـل عمـا حققـه كنجـم حركـة وبطـل شـعبي، ليتحـول مـن «ملـك الترسـو» إلى «الملـك»، الـذي ظـل متوجًـا علـى قلـوب الجماهـير، علـى مـدار ٤٥ سنة بأكـثر مـن ٣٠٠ فيلـم.

تنـوع الأدوار، وتغيـير الجلـد الفـني، واستشـعار رغبـات الجمهـور واحترامهـا، درس لا يسـتوعبه عـدد كبـير مـن النجـوم، ظنًـا منهـم أن الجمهـور أعطاهـم صكـوك ضمـان، للنجوميـة الأبديـة والنجـاح، وهـو مـا يفسر فشـل نجـوم حققـوا نجاحـات كاسـحة، ربمـا كان آخرهـم محمـد سـعد، الـذي بـدأ نجمًـا شعبيًا في منطقـة الكوميديـا بأفلام حققـت نجاحًـا جماهيريًـا كبـيرًا، والـذي فشـل تدريجيًـا في الحفـاظ عليـه، بعـد أن ظـل يقـدم تنويعـات مكـررة مـع نمـط شـخصية «اللمـبي»، مـن كركـر لبوشـكاش للمـبي مـرة أخـرى لتتـح، دون أن يجتهـد في تطويـر نفسـه كمـا عـبر الناقـد طـارق الشـناوي، الـذي يتفـق معـه الناقـد أنـدرو محسـن، مؤكـدًا أن فشـل سـعد بسـبب إصراره علـى عـدم التجديـد، أو تقديـم «Character » مختلـف، أو شـخصية جديـدة.

نجـوم آخـرون اسـتطاعوا التنويـع، بشـكل حقـق لهـم اسـتمرار النجـاح، مثـل كريـم عبـد العزيـز، وأحمـد حلمـي

هر والسقا، فقد قدموا أفلامًا جيدة، تنوعت بين الكوميدي والأكشن والجاسوسية والجريمة.

محمد رمضان أيضًا يدرك أهمية التنوع، بدليل تنوع اختياراته الفنية حتى الآن، فقد قدّم في ٢٠١٢ أول بطولة مطلقة سينمائية، بفيلمين هما «الألماني» و«عبده موته»، ثم «قلب الأسد» في العام التالي، الذي حقق نجاحًا أكبر من سابقيه، حيث لعب في الأفلام الثلاثة دور الشاب المنتمي للمناطق العشوائية، ليقدم فيلمًا كوميديًا هو «واحد صعيدي » عام ٢٠١٤، ثم ظابطًا في «شد أجزاء » عام ٢٠١٥، ليعود إلى الكوميديا مرة أخرى في « آخر ديك في مصر» عام ٢٠١٧.

صحيح أن تيمة الانتقام كانت حاضرة باستمرار، ولكنها أساس في أفلام البطل الشعبي، كما سبق واستعرضنا أفلام العملاق فريد شوقي، كما يقدم رمضان دور الإرهابي في فيلمه الأخير «جواب اعتقال».

4 - عدم المكابرة

«مكنتش أقدرأرفض حاجات كتير قبل مرحلة النجومية»، بهذه الجملة يلخص محمد رمضان واقعًا تم فرضه على كل نجوم السينما، قبل وصولهم لمرحلة النجومية،

أحمـد حلمـي عـلى سـبيل المثـال قـدم أفلامًـا متواضعـة فنيًـا، تماشـيًا مـع الأجـواء المتاحـة، قبـل أن يملـك القـدرة عـلى الاختيـار، فقـد قـدم مسـتوى فـني متواضـع في فيلميـه «ميـدو مشـاكل « عـام ٢٠٠٣، ثـم «صايـع بحـر» عـام ٢٠٠٤، ليتبعهمـا بمجموعـة مـن الأفـلام الخفيفـة، الـتي قدمهـا بهـدف الإضحـاك وتثبيـت النجوميـة، مثـل « زكي شـان « عـام ٢٠٠٥، و«مطـب صناعـي» عـام ٢٠٠٧ وغيرهـم، ليبـدأ في اختيـار نوعيـة أفـلام، تمتـاز بالمسـتوى الفـني الرفيـع بدأهـا بــ « كـدا رضـا، ٢٠٠٧ «، ثـم « آسـف عـلى الإزعـاج، ٢٠٠٨ « وأفـلام أخـرى.

نفـس الأمـر تكـرر مـع جيـل هنيـدي والسـقا، بـل إن عـادل إمـام لـم يبـدأ في تقديـم أفـلام تناقـش قضايـا سياسـية واجتماعيـة، أونصـوص عظيمـة، إلا بعـد مـرور ١٠ أعـوام عـلى اسـتقرار نجوميتـه وإيـرادات أفلامـه، بدأهـا عـام ٩١ بفيلمـي « اللعـب مـع الكبـار» و» شـمس الزنـاتي» ليقـدم بعـد ذلـك سلسـلة مـن الأفـلام الهامـة، الـتي جمعـت بـين إشـادة النقـاد والجمهـور، مثـل « الإرهـاب والكبـاب» و» المنـسي» عـام ١٩٩٣، و» الإرهـابي، ١٩٩٤)، و» طيـور الظـلام، ١٩٩٥» وغيرهـم.

ولا شـك أن قيمـة الأعمـال الفنيـة، هـي الـتي تخلـد الفنـان كمـا يـرى الناقـد نبيـل عمـر، وهـو مـا أشـار إليـه رمضـان،

في اختيـار نوعيـة أعمـال مبـشرة، إلا أن معظـم النجـوم لـم يقدمـوا أهـم أعمالهـم إلا بعـد مـرور ٥ أعـوام عـلى الأقـل، مـن تحقيقهـم للنجوميـة، لعـدم قدرتهـم عـلى فـرض رغبتهـم الكاملـة في اختيـار أعمالهـم الفنيـة، وهـو مـا أقسـم عليـه رمضـان صراحـة، في حـوار لـه مـع الإعلاميـة أمـيرة عبـد العظيـم، معلقًـا عـلى أدواره الأولى « أقسـم بـالله لـو هشـحت مـش هعمـل نوعيـة الأدوار دي تـاني، أنـا قدمتهـا عشـان مكانـش عنـدي إمكانيـة الاختيـار»، عـدم المكابـرة في الإصرار عـلى نوعيـة أعمـال، أو الدفـاع المسـتميت عنهـا، مـؤشر هـام عـلى امتـداد صلاحيـة النجـاح، والاسـتفادة مـن الأخطـاء.

3 - الصورة الذهنية الجذابة

مـن شروط البطـل الشـعبي، الـذي يتوحّـد معـه الجمهـور، أن يأخـذ حقـه بنفسـه، فـلا يمكـن أن يفـوض غـيره لأخـذ حقـه، حـتى ولـو كان مـن يفوضـه هـو البوليـس، ليسـت دعـوة للبلطجـة أو تخطـي لسـلطات الدولـة، ولكنهـا حقيقـة نجدهـا في أفـلام الأكشـن المصريـة والعالميـة بـدءا بــ «حــب في الزنزانـة، ١٩٨٣»، و«الهـروب، ١٩٩١»، و«الغـول، ١٩٩٣»، وصـولًا لأفـلام سـوبر مـان وجيمـس بونـد، وهـو مايؤكـده رمضـان، مشيرًا إلى أنـه لـم يخـترع

الرقـص بالمطـوى، أو مشـهد قميـص النـوم، الـذي تـم تنفيـذه قبـل ٥ أعـوام في فيلـم «الحرامـي والعبيـط، ٢٠١٣ « أو الصـوت الخـارج الـذي أصـدره في «عبـده موتـه»، حيـث سـبقه إلى ذلـك عـزت العلايـلي في «الاختيـار، ١٩٧١ «، وأحمـد زكي في «حسـن اللـول، ١٩٩٧»، وكريـم قاسـم في «أوقـات فـراغ، ٢٠٠٦»، وخالـد النبـوي في « الديلـر، ٢٠١٠».

الرصـد لـيس تبريـرا بالتأكيـد، ولا ترويجًـا للانفـلات اللفظـي عـلى الشاشـة، أو تأييـدًا لتقديـم القبح البـصري أو الحواري، لـيس فقـط حفاظًـا عـلى سـمو الفنـون، الـتي يعـبر عنهـا الفيلسـوف هربـرت ريـد Herbert Read في قولـه « الفـن هـو علـم اقتصـاد الوجـدان، إنـه الوجـدان متخـذًا شـكلًا جميـلًا «، بـل أيضًـا لأن هنـاك خطًـا دقيقًـا بـين الواقعيـة والمصداقيـة، فليـس كل الواقعـي مصـدق ولا كل المصـدق واقعـي، وهـو مـا فندتـه نظريـات أرسـطو وأفلاطـون، مـع بقـاء مسـاحات جـدل واسـعة حـول الواقعيـة في السـينما، قـال عنهـا الناقـد الإنجلـيزي رايمونـد وليامـز Raymond Williams في آخـر كتبـه « طرائـق الحداثـة «: « إن متعـة النـاس الحقيقيـة في مشـاهدة مـكان أو شـخص يعرفونـه حـق المعرفـة في سـحر الضـوء عـلى الشاشـة «.

مـن ناحيـة أخـرى يسـعى محمـد رمضـان لصناعـة صـورة ذهنيـة اجتماعيـة جذابـة، ممايعكـس رؤيـة لمفـردات

صلاحية البريق الاجتماعي، لدى الجماهير وليس الفني فقط، فيقدم حملة دعائية ضد المخدرات مما يعد استغلالا جيدا لتأثير نجم، يتمتع بشعبية جارفة لدى فئة عمرية من أكثر الفئات عرضة لخطر الإدمان، في الوقت الذي واجه فيه موجات شرسة من الهجوم بسبب الصور الشهيرة لسياراته الفارهة، إلا أني لا أستبعد وعي رمضان الكامل بنتائج نشر هذه الصور، التي ربما استفزت الكثيرين، ولكنها رسخت صورة ذهنية للنجم الشاب، تقارب صورته في مسلسله الناجح «الأسطورة «، فهو الشاب العصامي المكافح، ليس في المسلسل فقط، بل في الواقع أيضًا، مما يجعله قدوة ونموذجًا للشهرة والنجاح والثروة، ليصبح «الأسطورة» تمثيلًا وواقعًا.

1 - فريق العمل

يقول الناقد محمد عبد الرحمن عن أهم أسباب فشل محمد سعد، أنه يتحكم في كل تفاصيل أعماله، رافضًا الاستماع لرأي المخرج أو المؤلف، فهو كالممثل الذي يصور نفسه selfie، ويعجب هو بصورته دون اعتبار لرأي أحد، وهو ما قضى على صلاحيته الفنية تدريجيًا، وأدى إلى فشله عامًا بعد عام، إلا أنه يظل بإمكانه الخروج من «تحت ترابيزة» الفشل، إذا أفلح في اختيار فريق عمل جيد على حد تعبير عبد الرحمن.

والحقيقـة أن تصريحـات رمضـان، واختياراتـه لفريـق عملـه، يؤكـدان وعيـه بذلـك إذ يقـول « مـش أنـا اللي هنجّـح العمـل، ميـسي مـش هـو برشـلونه، لكنـه فريـق جيـد متكامـل »، كمـا يبـدو ذلـك مـن اختيـاره للعمـل مع واحـد مـن أنجـح المخرجـين الحاليـين، هـو محمـد سامي في «الأسـطورة»، وفيلمـه القـادم «جـواب اعتقـال»، عمرو عرفـة في «آخـر ديـك في مـصر »، إضافـة لتحضـيره حاليا لفيلـم « الكـنز» مـع المخـرج الكبـير شريـف عرفـة، مـن تأليـف الكاتـب القديـر عبـد الرحيـم كمـال، والملاحـظ أنهـا ليسـت أسـماء فنيـة كبـيرة فقـط، وإنمـا أشـخاص قـادرة عـلى القيـادة الحقيقيـة للعمـل الفـني، والـذي يدركـه رمضـان ويقـره.

دليـل آخـر عـلى وعيـه بأهميـة تكويـن فريـق فـني جيـد ومتكامـل، في سر لا يعرفـه الكثـيرون، وهـو أن شـخصية رفاعـي الدسـوقي في مسلسـل الأسـطورة، لـم يكـن مـن المفـترض أن يلعبهـا رمضـان، حيـث قـام هـو نفسـه بترشـيح عـدد مـن زملائـه للـدور، إلى أن طلـب المخـرج منـه أن يلعـب الدوريـن لأهـداف تسـويقية.

١- الموهبة التمثيلية

بـدأ محمـد رمضـان التمثيـل عـلى خشـبة مـسرح مدرسـة

السعيدية، حيث فاز بجائزة أحسن ممثل على مستوى الجمهورية أكثر من مرة، وفي أول ظهور احترافي له في مسرحية «قاعدين ليه»، لم يتعد دوره في البداية دقائق قليلة، لتنتهي شهور العرض، وقد أصبح صاحب ثاني أكبر دور من حيث المساحة بعد بطلها النجم سعيد صالح، نظرًا لتجاوب الجمهور الكبير معه.

قدم رمضان أيضًا دورًا مهما في مسلسل «السندريللا » عام ٢٠٠٦، حيث جسد شخصية الفنان أحمد زكي، ورغم عدم كتابة اسمه على التترات، إلا أن الصحافة بحثت، وأثنت بشدة على الممثل الصاعد، وعوضته قدرًا كبيرًا من الاحتفاء والتقدير.

بعد ١٠ سنوات يجسد رمضان دور البطولة في مسلسل «الأسطورة»، مهتمًا بما يسمى فلسفة الصنعة على حد تعبيره، حيث يوضح أن شخصية رفاعة الدسوقي بتركيبتها النفسية والاجتماعية ت، متاز بـ «تون» صوت أجش وعالي، بحكم عمله في ورش الحدادة، كما أنه يلتفت بجسده كاملًا، ويجلس باستمرار مفرود الظهر، كونه صاحب تأثير وشخصية قوية في حي شعبي، مايعكس اهتمامًا بالتفاصيل النفسية أو المكياج الداخلي كما يعبر عنه، إضافةً لجهده المبذول كي يصل إلى بنية رياضية متناسقة، تناسب دوره كمعلم في «الأسطورة»،

أو ظابـط في «شـد أجـزاء».

ربمـا يكـون هـذا هـو مـا استشـفه الممثـل العالمـي روبـرت دي نـيرو robert de niro، حينمـا شـاهد رمضـان في فيلـم «احـكي يـا شـهرزاد»، بعـد عرضـه في مهرجـان نيويـورك السـينمائي، ودفعـه إلى أن يقـول عنـه لمنتـج الفيلـم: اهتمـوا بهـذا الممثـل.

- ولد محمد رمضان في ١٣ مايو ١٩٨٨.

--

- صناع السينما، أحمد الجندي.

- شخصيات وأفلام من عصر السينما، أمير العمري.

- طرائق الحداثة، رايموند وليامز Raymond Williams.

- معنى الفن، هربرت ريد Herbert Read.

- فن كتابة المسرحية، لاجوس أجري.


لا تحترس من «البعبع»
الخوف من الاختلاف

«لالا لاند» مصيدة التريلر الخادعة

لـم ينجـح تريلـر «إعـلان» فيلـم سـينمائي، في شـحن حماسي لمشاهدته مثلما فعـل تريلـر فيلـم «لالا لانـد La Land»، ٣ أشـهر وأنـا أترقـب صـدوره، وأنتظـر تحديـد موعـد عرضـه، عـلى أمـل أن أعيـش معـه حالـة قصـوى مـن الإمتـاع، تضاهـي مـا سـببتها لي أفـلام مثـل شـيكاجو ومـولان روج والفنـان "The Artist".

الانطباعـات السـابقة، أو ارتفـاع سـقف التوقعـات قبـل رؤيـة الأعمـال الفنيـة، خطـير بـلا شـك، ولكـن ماشـعرت بـه فعـلًا قبـل اقـتراب انتهـاء الفيلـم أنـني لـم أحلـق مسـحورًا في فضـاء لالا لانـد رغـم اسـتعدادي التـام لذلـك « بغـض النظـر عـن تصـورات أو رغبـات لا يجـوز فرضهـا مسـبقًا قبـل تقييـم فيلـم »، فعـلى مـدى ١٢٨ دقيقـة، هـي مـدة عـرض الفيلـم تحقـق إبهـاري بالرقـص والموسـيقى، في اسـتعراضين فقـط همـا الأول والأخـير.

كمـا توقعـت أن تعلـق في ذهـني عـدد مـن الألحـان المغنـاه

في الفيلم، بعد انتهائه وهو مالم يتحقق أيضًا، أضف إلى ذلك بطء الإيقاع الشديد، قبل اكتمال الساعة الأولى من مدة الفيلم، وهو ما أثّر على قوة البداية والنهاية، رغم احتوائهما على الاستعراضين الأبرز والأكثر إبهارًا.

ضخامة الإنتاج، إبهار الصورة، عذوبة الغناء، عناصر أساسية في الفيلم الغنائي الاستعراضي، الذي اعتبر نفسي واحدًا من عشاقه، إذا ماتم تقديمه بصدق وحرفية، واستطاع مخرجه تضفير الدراما بالرقص، بحيث لا يبدو مقحمًا بهدف جذب الجماهير لشباك التذاكر.

كثرة تفاصيل الفيلم الاستعراضي من تدريب الراقصين، واختيار الألحان والملابس والممثلين أصحاب القدرات الخاصة، بالإضافة إلى العثور على قصة جذابة، قابلة لتقديمها في إطار استعراضي، أدّى إلى ندرة تلك النوعية من الأفلام، وصعوبة نجاحها بعد ذلك، وهو ما يضيف تفسيرًا جديدًا لحالة الشغف، التي انتابتني ضمن كثيرين، انتظروا أن يحلقوا بكامل مشاعرهم في اللالا لاند.

ذلك الفيلم الذي بدا مشهده الأول مبشرًا للغاية، حيث قدم استعراضًا عذبًا مبهرًا، يدور في أحد شوارع مدينة لوس أنجلوس الأمريكية، وهو ما أوحى باستمرار

وهـج البهجـة والإبـداع، الـذي ظـل خافتًـا بشـدة دون أن يساورني شـك في عودتـه لا محالـة،

بعـد الاسـتراحة انطفـأت أضـواء السـينما مـن جديـد، وعـدت متشـبثًا بقـرار اسـتمتاعي بالفيلـم المنتظـر، إلى أن اكتشـفت أن تشـبثي برغبـة الاستمتاع، أكـبر بكثـير مـن استمتاعي الفعلي، الـذي لـم يتجاوز مـا شـعرت بـه أثنـاء مشـاهدة فيلـم مقبـول في أفضـل الظـروف، فـلا حبكـة تسـتطيع الإمسـاك بهـا بـين أحـداث الفيلـم، ولاحافـز أو رؤيـة جديـدة، تدفعـك للتوحـد الكامـل مـع بطليـه رغـم نقائهمـا ومعانـاة كليهمـا في تحقيـق الحلـم الخـاص بـكل منهمـا، وهـو مـا خلـق تفاوتًـا كبـيرًا بـين قـوة الدرامـا والاسـتعراض، الـذي جـاءت مسـاحته الزمنيـة أقـل مـن المتوقـع أيضًـا.

مـن الخطايـا الكـبرى اخـتزال قيمـة الفيلـم السـينمائي في سـؤال: « قصتـه إيـه؟ « لأن المعيـار الأهـم مـن الحكايـة هـو طريقـة الحـكي أو مـا يسـمى سـينمائيا بالحبكـة، أي مـدى قـدرة الفيلـم، بلغـة أبسـط، عـلى تجسـيد مشـاعر الأبطـال وأزماتهـم، وبالتـالي توحـد الجمهـور مـع هـؤلاء الأبطـال، مـن الخطايـا أيضًـا الانقيـاد لموجـة الترحيـب الجامحـة بالأعمـال الـتي أثـارت مثـل هـذه الضجـة أو الانبهـار ببريـق الجوائـز الـتي تحققهـا والتمـرد المراهـق

المتجسد في رفضها بالمقابل كنوع من تقمص الفهم الأعمق من الجميع.

لالالاند فيلم ينتصر للحلم، نعم، هذا عظيم. فالبطل سيباستيان « ريان جوسلينج Ryan Gosling » يحلم بأن يمتلك نادي غنائي خاص به، ينشر من خلاله موسيقى الجاز الكلاسيكية، التي يعشقها كما تحلم حبيبته ميا « إيما ستون Emma Stone » بأن تصبح ممثلة معروفة، وهو ما ينجحا في تحقيقه رغم افتراقهما في نهاية الفيلم.

والحقيقة أن اسم المخرج والمؤلف الأمريكي الشاب دميان شازيل Damien Chazelle، لعب دورًا مُهمًّا في حماسي المبالغ فيه، لمشاهدة لالا لاند، حيث قدم شازيل منذ عامين واحدًا من أروع الأفلام، التي جسد من خلالها كيف يمكن أن يصل الشغف بصاحبه، إلى حافة الجنون وهو Whiplash من بطولة مايلز تيلر Miles Teller، والممثل القدير جي كي سايمونز J. K. Simmons

في لالا لاند برع شازيل في المونتاج واختيار الألوان، فنجح في تقديم صورة براقة ومبهجة، كما استطاع أن يستوحي من سينما هوليوود الغنائية القديمة، شكلًا

أنيقًا للاستعراضات، تحاكي أفلام فريد استر ومارك ساندريتش، مضيفًا شكلًا حالمًا أنيقًا مثل الاستعراض، الذي صعد فيه بطلي الفيلم إلى السماء ليرقصا سويا بين النجوم.

أجاد شازيل أيضًا تضفير الاستعراض بدراما الفيلم بحرفية شديدة، خاصة في مشهد حضور ميا لحفل سيباستيان، بعد افتراقهما لنفاجأ في نهايته بأن الاستعراض من صنع خيالها بالكامل، لكن ظلت المشكلة هي ضعف الدراما في الأساس.

لا أنكر أيضًا رهافة الأداء التمثيلي لبطلي الفيلم، ريان جوسلينج وإيما ستون، بالإضافة إلى حرفية آدائهما الراقص، وهو ما يميز نجوم هوليوود من جدية التعامل مع متطلبات أدوارهم، التي دفعت جوسلينج لتعلم العزف على البيانو خصيصًا ليتمكن من عزف المقطوعات الموسيقية في الفيلم بنفسه، كما كوّن جوسلينج وستون ثنائيًا متناغمًا ومقنعًا، ربما لم يكن ليتحقق لمايلز تيلر Miles Teller الذي كان مرشحا لدور جوسلينج، وإيما واتسون Emma Watson التي كانت مرشحة لدور إيما ستون، رغم الموهبة التي يتمتع بها كليهما.

فـاز لالا لانـد بـ ٦ جوائـز أوسـكار ضمـن عـشرات الجوائـر العالميـة الأخـرى، لكـن هـل يعـني ذلـك أن الانبهـار بـه فريضـة، والإيمـان بعظمتـه واجـب؟!

للجوائـز الأمريكيـة بريـق خـاص لا شـك في ذلـك، خاصـة الأوسـكار والجولـدن جلـوب، لكـن هـل مـن العـدل بالمقابـل أن نقلـل مـن أهميـة أعمـال أو نجـوم، لمجـرد عـدم حصولهـم عـلى الأوسـكار حـتى الآن، أمثـال جـوني ديـب Johnny Depp، وهاريسـون فـورد Harrison Ford، وإدوارد نورتـون Edward Norton؟

لا استـطيع القـول بـأن لالا لانـد يعـاني مـن أخطـاء فادحـة، في أي مـن عنـاصره، لكنـه لـم يحتـوِ في الوقـت نفسـه، عـلى مـا يسـاوي بـين الضجـة الـتي سـبقت عرضـه، وبـين تأثـير مـا قدمـه بالفعـل، مـن فـن وبهجـة وإمتـاع، حسـب التوقـع الـذي روجتـه مصيـدة التريلـر الخادعـة،

حينما تحرر الموسيقى أحلام الشعوب

Yalla underground

«السياسيون يسرقون الأحلام والفنانون هم الذين يستردونها»، ربما كان مضمون تلك الجملة، التي ذكرت على لسان أحد ضيوف الفيلم الوثائقي « يللا أندرجراوند " Yalla underground، هو ما حاول صناعه أن يثبتوه، من خلال استعراض إبداعات ١٦ موسيقيًا، يقدمون ما يمكن أن نسميه بالموسيقى المستقلة أو «الموسيقى البديلة " Alternative music في ٤ مدن عربية، هي القاهرة رام الله بيروت عمان، حيث رصد الفيلم مايعانيه هؤلاء الموسيقيون، من قمع وتهميش، أثناء وبعد الربيع العربي في الفترة من ٢٠٠٩ حتى ٢٠١٣.

وقد حاول مخرج ومنتج الفيلم الألماني الأفغاني الأصل فريد إسلام، Farid Eslam أن يعكس التغيير الذي طرأ على رؤيته الشخصية عن العرب، والتي كانت سلبية تمامًا بسبب - الهراء الذي نراه في التليفزيونات - على حد تعبيره.

حيث ألقى الضوء على مشاعر هؤلاء الموسيقيين وأحلامهم، ومايواجهونه من صعوبات لتقديم موسيقاهم، المختلفة عن السائد شكلًا ومضمونًا، ويبدو أنه نجح في تحقيق ذلك التأثير بعد تأكيده على أن الجمهور الغربي فوجئ « أن هناك أشخاصًا متعلمين عصريين ومتسامحين في الوطن العربي »، وذلك بعد عرض الفيلم في أوروبا.

وهو ما أكدته المطربة المصرية دنيا مسعود، إحدى ضيوف الفيلم قائلة ضمن شريطه المسجل «لا يهمني كثيرا كيف ينظر لنا الغرب، وإذا كان يريد أن يجد له أعداء، فهذه مشكلته وليست مشكلتنا، ما يهمني هو حياتنا هنا».

اختيار ضيوف الفيلم جاء متنوعًا وموفقًا ومتوافقًا، من حيث نوعية الموسيقى وتقارب الهم لدى الموسيقيين العرب، بالإضافة إلى حساسية اختيار تفاصيلهم الشخصية المقدمة على الشاشة، مماحقق نوعًا من الإشباع العاطفي لدى المشاهد، ساهم فيه أيضًا استعراض نظرتهم الخاصة للفن، والحياة، والسياسة، التي كنت أفضل أن تتقلص المساحة الممنوحة لها، حيث أثر استطرادهم في الحديث عنها، بالسلب على إيقاع الفيلم، خاصة في نصفه الأخير، رغم محاولات

المخرج الناجحة إلى حد كبير، في إحداث التوازن بين التأثير في وجدان المُشاهد وعاطفته، بالموسيقى والأغاني المتنوعة الموظفة جيدًا، وبين صلتها بالظرف السياسي، الذي خرجت من رحمه، بوعي كامل من مبدعيها، والمدركين أنهم يناضلون بموسيقاهم المتمردة، المحطِمة لكل الثوابت، كما يقول الرسام الفلسطيني عامر شوقي، أحد ضيوف الفيلم «نحن جيل ليست لديه قداسة تجاه أي شيء، كل شيء بالنسبة لنا قابل للمساءلة».

«يللا أندرجراوند» فيلم وثائقي، يقدم صورة إنسانية لصناع الموسيقى المستقلة في الوطن العربي، ومدى ارتباطهم بأوطانهم، التي تئن تحت وطأة أحداث سياسية معقدة، محاولًا إيصال رسالة عالمية، أكدها ضمن شريط الفيلم المطرب الفلسطيني شادي زقطان قائلًا «سيظل صوت الموسيقى أعلى من صوت الرصاص».


لماذا تم حذف المقدمة؟

لـم يكـن أنـور وجـدي فقـط هـو الـذي اعتـاد أن يواجـه الكامـيرا في عـدد مـن أفلامـه ليتحـدث عـن عاقبـة الطمـع أو مسـاوئ الخيانـة، العديـد مـن صنـاع الأفـلام المصريـة أصروا أن يقدمـوا لنـا مضامينهـا في شـكل نصائـح نتجرعهـا قبـل مغادرتنـا قاعـة السـينما، مشـكلتي مـع هـذا النمـط مـن التنـاول أنـه يقتـل أحـد أهـم متـع الأفـلام، وهـي أن نستكشـف، أن نحلـق بأذهاننـا ومشـاعرنا في مـا نشـاهده، وأن يحلـق هـو بداخلنـا.

لنفـس السـبب لا أقـرأ مقدمـات الكتـب، لأنها تقـضي غالبًا عـلى نفـس المتعـة، الاستكشـاف. عـن نفـسي فضلـت أن لا أرتكـب تلـك الخطيئـة في كتـابي، لأن إلغـاء المقدمـة يُعتـبر بدايـة متوائمـة مـع روح هـذا الكتـاب الـذي احتفـى بالسـينما، ليـس فقـط بصفـتي أحـد المتيمـين بهـا، ولكـن بصفتهـا هـي، أكـثر الفنـون، لحظـة، انـا عـلى وشـك الوقـوع في نفـس الفـخ. حسـنا. لا داعـي للتـورط في صياغـة خطبـة عـن السـينما والحريـة عـلى طريقـة أنـور وجـدي، تسـتطيع مراجعـة ماشـئت عزيـزي القـارئ لتتفق أو تختلـف مـع بعـض أو ربمـا مـع كل مـا تـم طرحـه في هـذا الكتـاب، فقـط تحـرر. ذلـك هـو طـرف الخيـط

الذي ضم الموضوعات السابقة في كتابٍ واحد راصدًا رقص السينما على الحبال المشدودة، فوق: السياسة في «سيف ودرع وسينما»، الدين في «لا تقربوا الشجرة»، الجمود في «عكس الاتجاه»، التمرد في «احترس من البعبع».

كان من الضروري أيضًا أن نتحدث عن عدد من المبدعين الذين دميت أقدامهم من فرط الرقص على حبال الشغف إلى أن وصلوا لبر النجاح وضفاف النجومية، نادية لطفي المتمردة على جمالها الأوروبي، المذهلة في كل الأدوار، محمود عبد العزيز المعادل الرجولي للفكرة والموهبة، شريهان بطلة الآلام والنجاحات والأحلام، نيللي مؤسسة مملكة الفوازير، الحالمة بالبهجة والمصدِّرة لها، محمد حفظي سيناريست الإنتاج الراقي وأحد محاربي الاستسهال والتردي، محمد رمضان «الأسطورة» المليئة بالأسرار والمعاناة، يوسف شاهين المحاصَر حتى الآن بالكثير من الاتهامات، هل هم فقط؟ بالطبع لا، طيب «اشمعنى» لأن في مشوار كل منهم قصة تمرد وإصرار وجموح، صنعت اسمه ومجده وإبداعه، بعد آلاف الأميال التي قطعوها، فوق الحبال المشدودة.

شكر

السيدة العظيمة، شادية محمود فؤاد، والدتي.

حسين فرغلي أبي الحاضر دائمًا.

إخوتي الأعزاء وأبناؤهم.

د. هاني عبد الناصر.

السيدة سعاد عامر.

الأستاذ إبراهيم عيسى.

الأستاذ محمد عبد الرحمن.

محمد إسماعيل ومحمود صلاح.

كريم فرغلي

صحفي وسيناريست وشاعر مصري. حصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا. كما حصل على ماجستير في الصحافة من جامعة RUDN بموسكو - روسيا. درس علوم السينما والسيناريو في دورات قصر السينما - القاهرة، جاردن ستي. كتب بجريدتي «اليوم» السعودية، و«المقال» المصرية، والعديد من الصحف العربية. عضو مجلس إدارة ومدير الثقافة والفنون بمركز «بدايات» الإبداعي بالقاهرة.

مؤلف أفلام

- دهمش ٢٥، روائي مصري قصير.

- Happy New year، روائي روسي قصير.

- ملحمة بناء السد العالي، تسجيلي مصري روسي طويل.

تم تكريمه من قِبَل

- الرئيس المصري السابق المستشار عدلي منصور عن فيلم «ملحمة بناء السد العالي».

- الدكتور أسامه السروي المستشار الثقافي المصري في روسيا عن فيلم «دهمش ٢٥».

- الدكتورة أحلام يونس رئيسة أكاديمية الفنون المصرية عن جهود دعم التعاون الفني والثقافي بين مصر وروسيا.

حبال السينما المشدودة

يرصد هذا الكتاب أشهر المعارك الضارية التي اشتعلت نيرانها بين أعداء السينما ومبدعيها فأحرقت أيديهم قبل أن يكملوا أفلامهم بينما أشعلت حياتهم بعد إتمامها بالفعل، مثل يوسف وهبي عندما قرر تجسيد شخصية النبي محمد في فيلم من بطولته، ويوسف شاهين بعد أن قدم حياة النبي يوسف في فيلم من إخراجه. الكثير من المناطق الساخنة يقتحمها هذا الكتاب عبر تساؤلات عديدة. لماذا يجب أن تتحرر الأفلام؟ وهل القُبلات هي البقع الحقيقية التي تؤدي إلى اتساخ السينما النظيفة؟ لماذا لم يصل مخرج عربي إلى الأوسكار حتى الآن؟ هل هناك معايير سرية أم أنها حجة ملتقطة من قلب دواليبنا المزدحمة بشماعات الفشل؟ ما الذي حوّل روكي بالتحديد إلى أيقونة تكتسي بصوره جدران غرف شباب العالم؟ هل السينما الأمريكية متحررة سياسيًا بالفعل؟ هل هناك كواليس لا نعلم عنها شيئًا في صناعة وتكريم الأفلام هناك؟ لماذا تحقق أفلام بعينها نجاحًا ضخمًا -لالا لاند مثالًا-؟

نجـوم ونجمـات سيدهشـك هــذا الكتـاب أيضًـا بإعـادة لفسـير علامـات الإعجـاب حـول إبداعاتهـم والاسـتفهام حـول حياتهـم الخاصـة... التهـم الـتي طـاردت يوسـف شـاهين حيًّـا وميتًّـا - أسرار انتحـار داليـدا - خفايـا شريهـان الفنيـة والشـخصية - لغـز إصرارنـا عـلى حـب محمـود عبـد العزيـز - حـل فـزورة نيللـي الـتي لـم يعرفهـا أحـد - الضربـات القاضيـة في مباريـات الـصراع الفـني وغيرهـا..

أسرار جذابة ولا شك. لكـن عمـق التحليـل وجديّـة البحـث ورشـاقة الأسـلوب، أسـباب أخـرى سـتدفعك عزيـزي القارئ إلى قـراءات متعـددة، متمنيًـا في كل مـرة ألا تنتهـي حبـال.. عفـوًا.. سـطور هــذا الكتـاب القيّـم، وتجعلـني أظـن أن كريـم لـن يغيـب بعـده طويـلًا. فلطالمـا امتلـك زوايـا تميزه عـن أبنـاء جيلـه، لكـن أكـبر مـيزة عـلى الإطـلاق أنـه مثـل الفنـان الـذي لا يقـف أمـام الكامـيرا إلا مـن أجـل المتفـرج، كريـم فرغـلي أيضًـا لا يُمسـك بالقلـم إلا مـن أجـل القـارئ، لا أهـداف تجاريـة، ولا رغبـات خفيـة في مجاملـة نجـم أو الحـط مـن قـدر آخـر فقـط حـب السـينما الـتي تجعـل مـن يعشـقها راقصًـا فـوق الحبـال المشـدودة.

محمد عبد الرحمن

رئيس تحرير إعلام.أورج

فهرس



@manshurat.alrabie

#منشورات_الربيع



دراسات

العنوان	المؤلف	العام
السينما والرقص على الحبال المشدودة	كريم فرغلي	2017
مشاركة الشباب في الحياة السياسية	علي سالم	2017
هجرات الموريسكيين	عبد اللطيف مشرف	2017
الأندلس تاريخ الشتات	د. محمد الرزاز	2017
المرأة والجنس	د. نوال السعداوي	2017
حياة الحقائق	غوستاف لوبون	2017
الثورة الفرنسية وروح الثورات	غوستاف لوبون	2017
الحلاق والشيخ	عمرو عاشور	2017
ملك وامرأة وإله	نوال السعدواي	2016
دافنشي- وذكريات الطفولة	سيجموند فرويد	2015
ذاكرة الحكائين	أمير تاج السر	2015
آيات علمانية	عماد نصر ذكري	2013

روايات

العنوان	المؤلف	العام
سقوط الإمام	د. نوال السعداوي	2017
سورة الأفعى	مصطفى الشيمي	2017
ظل طائر خفيف	حازم عزت سعد	2017
لآدم سبع أرجُل	دعاء إبراهيم	2017
Bipolar	غادة عبود	2017
العُري	سلطان الحويطي	2017
النحت في صخور الألماس	ميسرة الهادي	2017
أيام هدى	أحمد الواصل	2017
ذيول الخيبة	مها حسن	2016
ذكريات النوم القديم	عمرو عبد الكريم	2016
لعبة الريح والمطر	حسين مرعي	2016
مرائي الدمى	ميسرة الهادي	2016
وردة وكابتشينو	أحمد الواصل	2016

روايات

العنوان	المؤلف	العام
الأوركسترا الليلية	رضا قاسمي	2015
السهم الزمني	مارتن أميس	2015
برج العذراء	إبراهيم عبد المجيد	2015
خطايا الآلهة	أدهم العبودي	2015
طهران..الضوء القاتم	أمير حسن جهلتن	2015
صياد الملائكة	هدرا جرجس	2015
الصنم	أشرف الخمايسي	2015
ريمورا	غسان حمدان	2015
أبابيل	شريف عبد الهادي	2014
الطيبيون	أدهم العبودي	2014
النوم مع الغرباء	بهاء عبد المجيد	2014
شفرة فرويد	رامي جان	2013
أورارا	فضل ساسي	2012

قصص

العنوان	المؤلف	العام
كل نكهات الآيس كريم لامرأة وحيدة بالصورة	هالة صلاح	2017
بنت حلوة وعود	مصطفى الشيمي	2016
جنازة ثانية لرجل وحيد	دعاء إبراهيم	2016
وردة للخونة	محمد عبد النبي	2016
مزيد من كل شيء أو لا شيء على الإطلاق	حازم عزت سعد	2016
L for life	Loaiy A. Tageldin	2015
أهواك	أشرف الخمايسي	2015
تقتلني أو أكتبها	عبد الصبور بدر	2014
آخر أحلام الدانتيل	معتز هاني	2013
بريود	محمد متولي	2013
الشوارع الجانبية للميدان	طارق مصطفى	2012

قميص جامعة الدول	أحمد الواصل	2012

نصوص

العنوان	المؤلف	العام
دليل النهايات	ممدوح عبد الحميد	2017
الهزيمة الكاملة - منولوج	أحمد عبد الحي	2017
نصف إله مضطرب	أحمد سعيد	2017
ورحلتُ يومًا للسماء	عائشة علي موسى	2017
صف واحد موازي للوجع	ممدوح عبد الحميد	2014
القاهرة	أحمد بخيت	2014
لا شيء لي	محمد رجب	2014
الوشم المقدس	شادي المحمودي	2013

أدب الطفل

العنوان	المؤلف	العام
خاتم ناني السحري	يوسف بعلوج	2017
حصالة علي	يوسف بعلوج	2017
إنقاذ الفزاعة	يوسف بعلوج	2017
مملكة القط الأسود	مصطفى الشيمي	2017
حكاية الغول الأخضر	مصطفى الشيمي	2017
العصفورة مرمر	مصطفى الشيمي	2017
موني	مصطفى الشيمي	2017

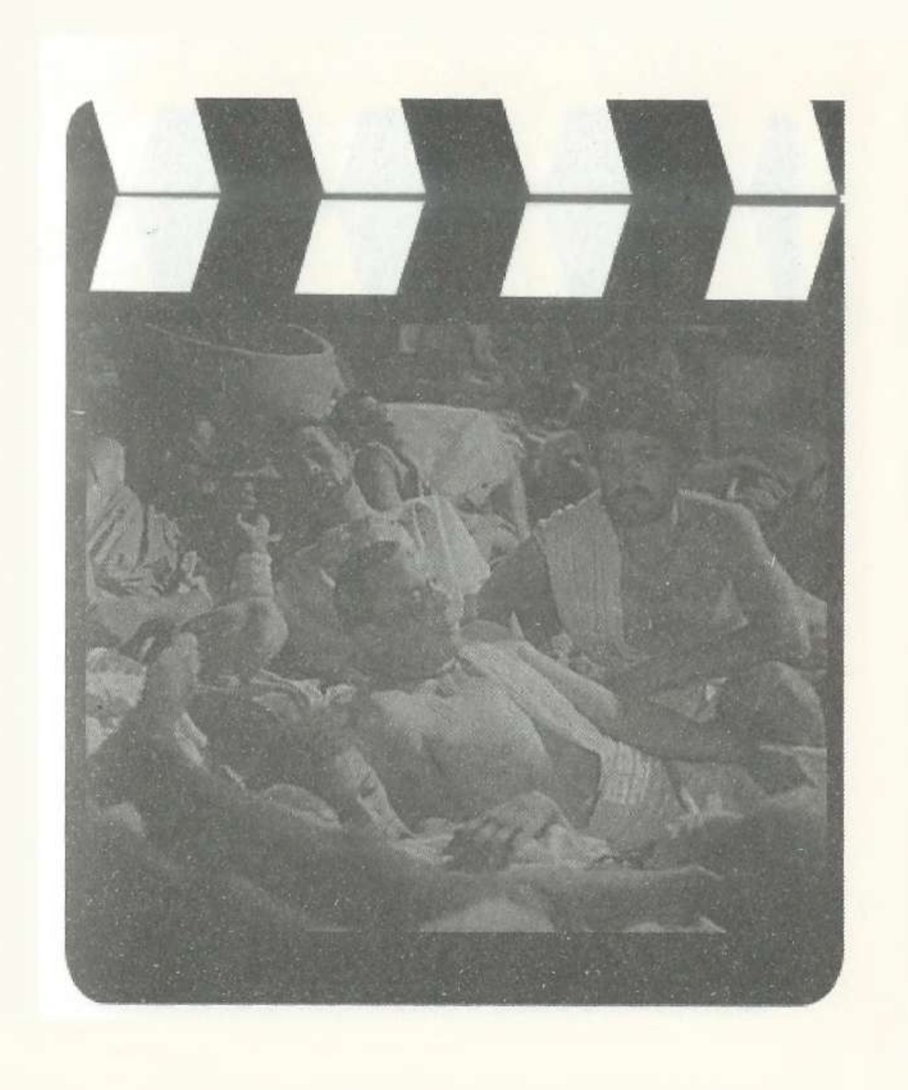
المسرح

العنوان	المؤلف	العام
المظلة	يوسف بعلوج	2017
بنادورا	ميسرة صلاح الدين	2014


ملحق الصور

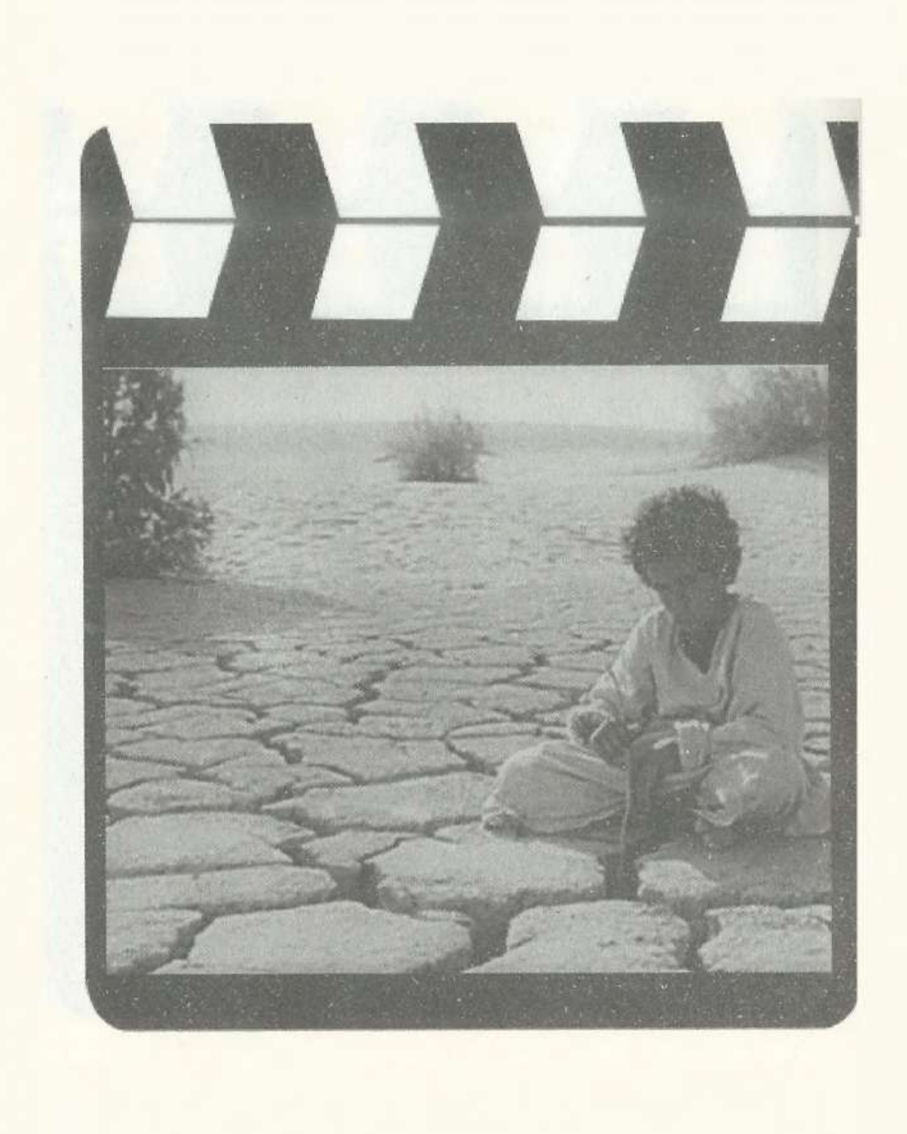


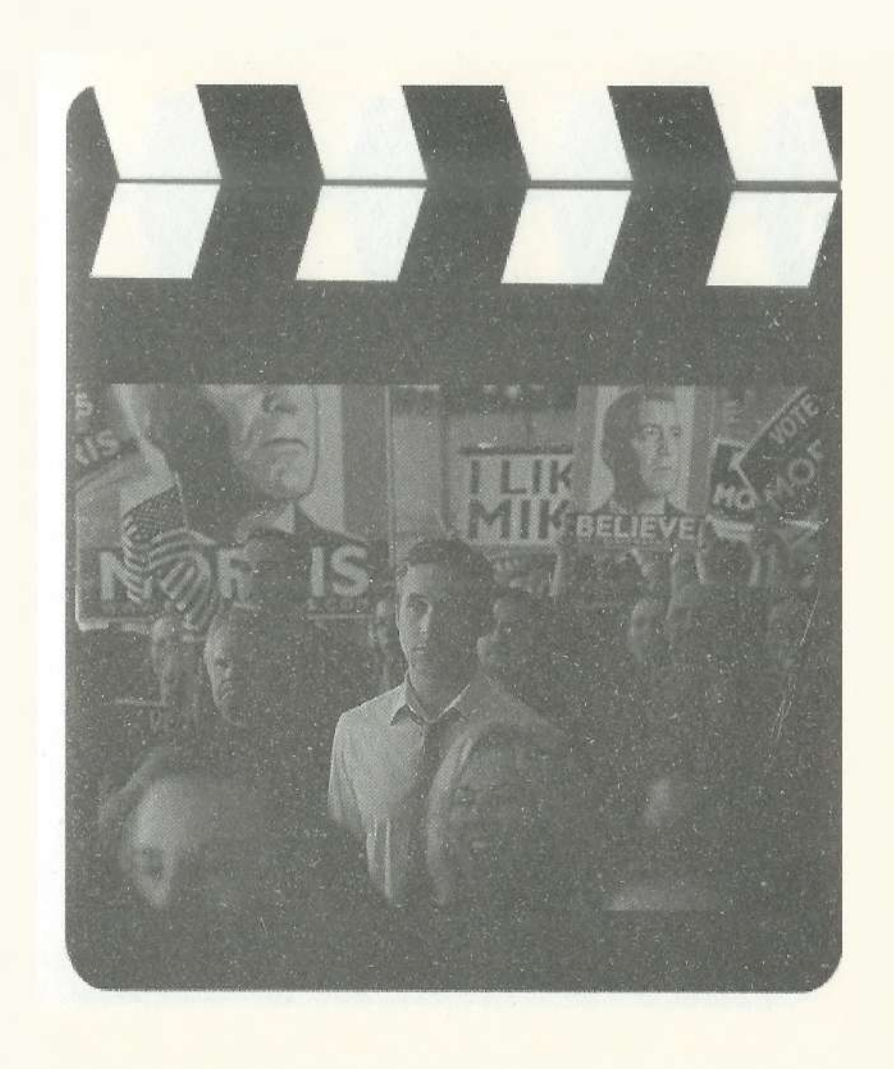






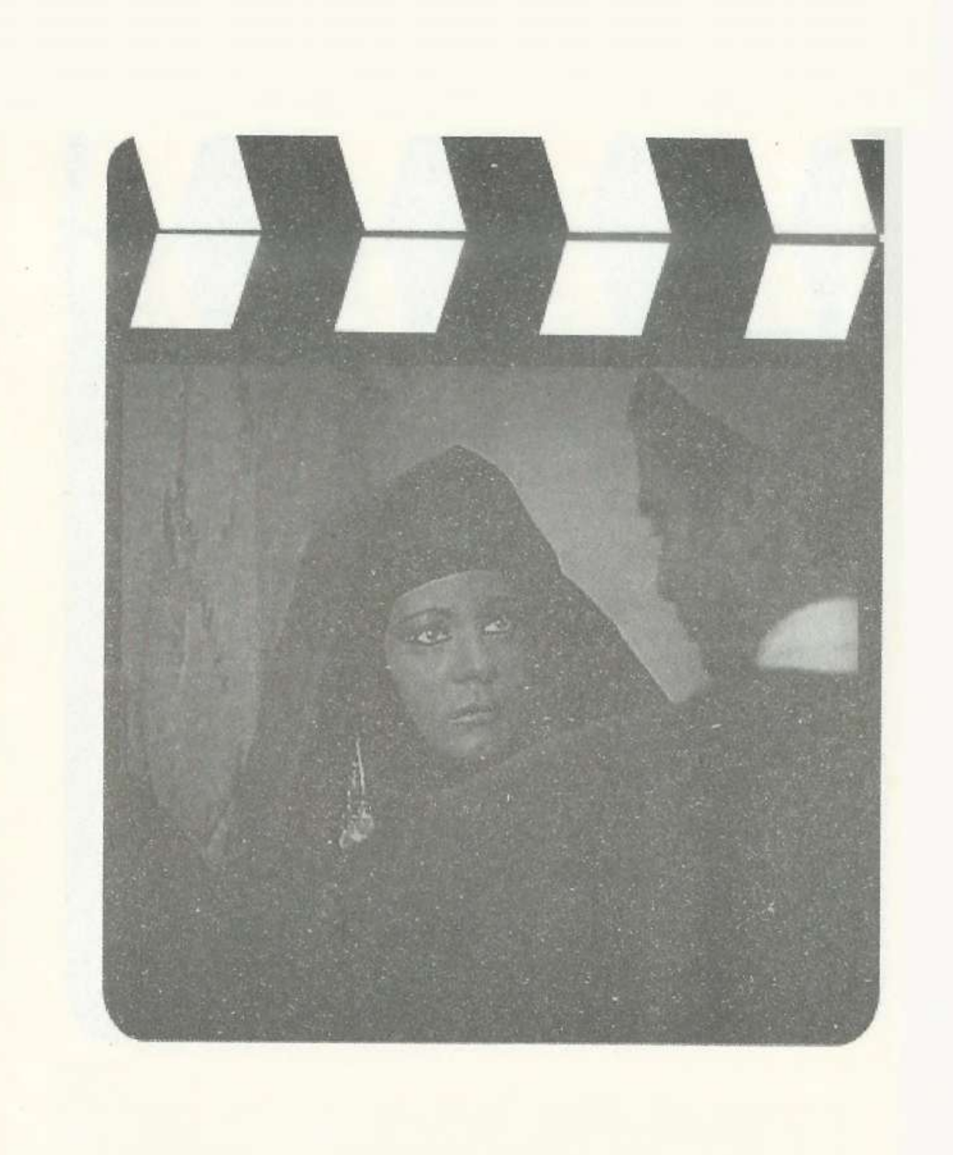


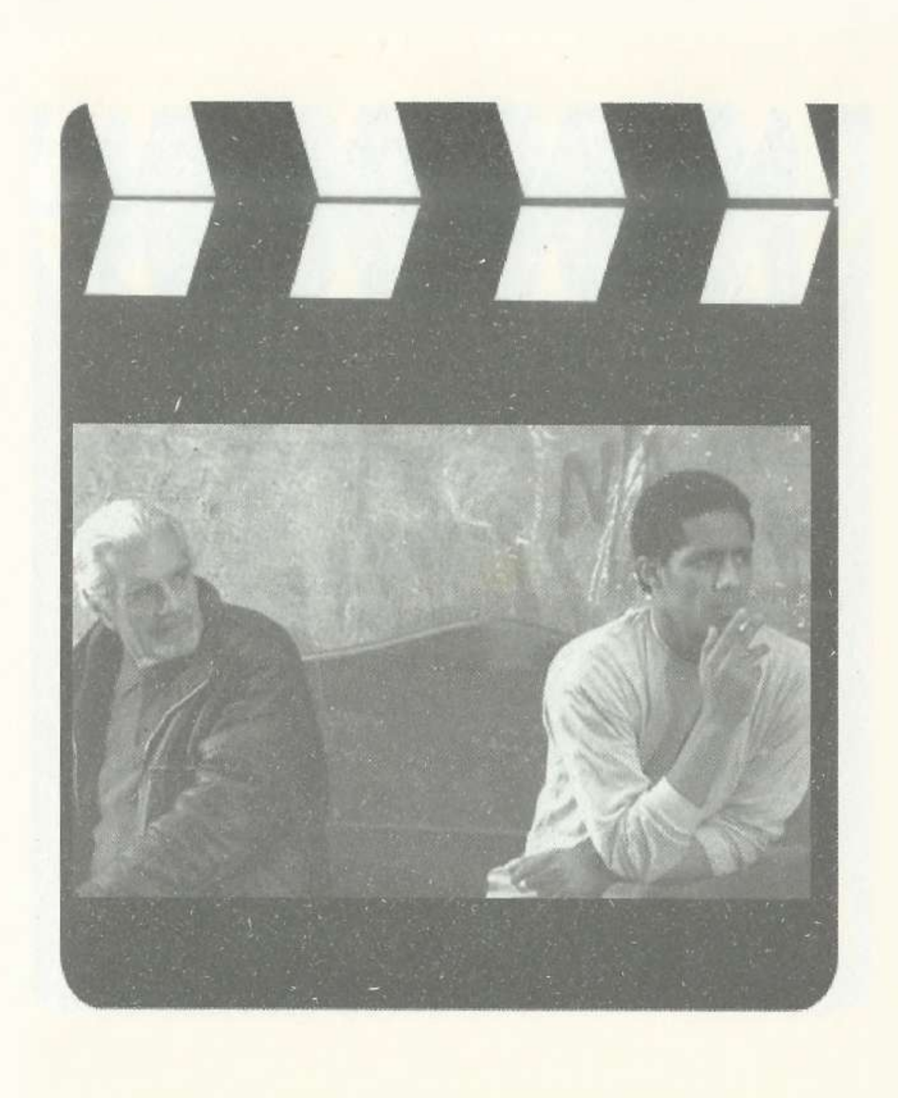


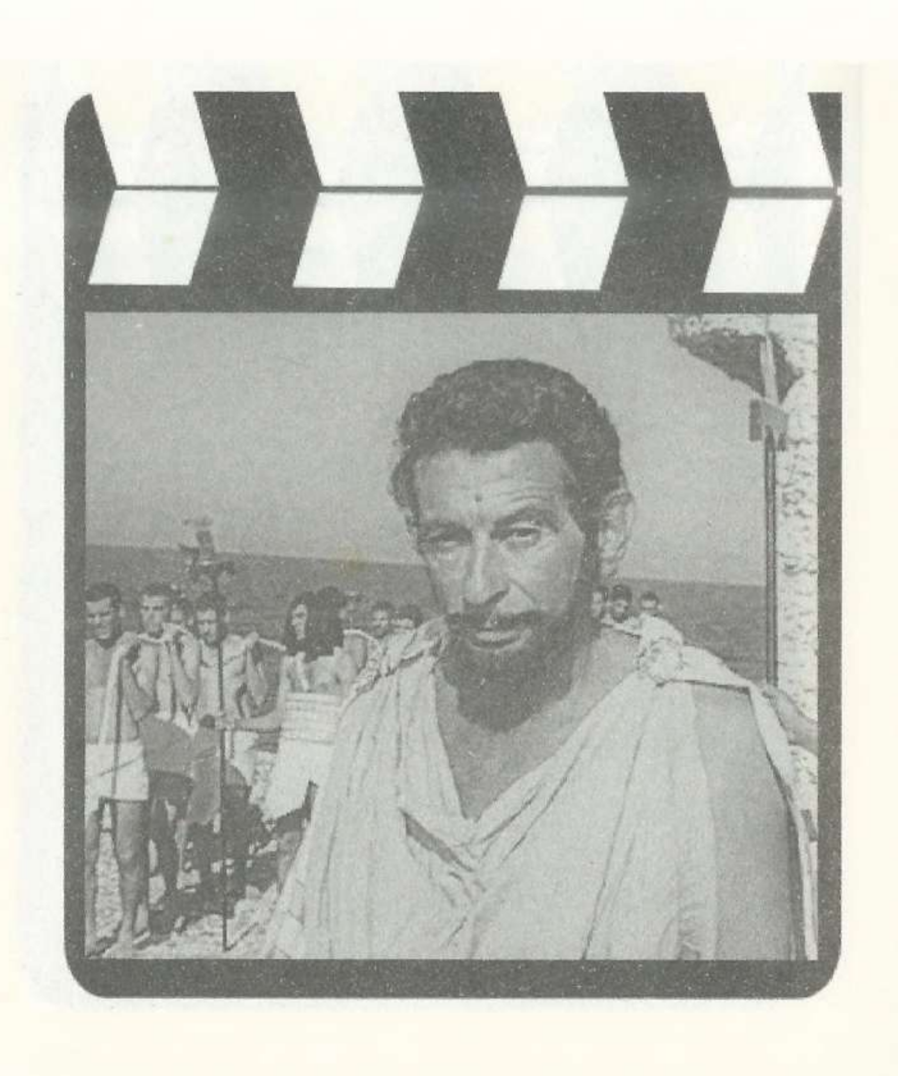

I LIK
MIK
BELIEVE
VOTE

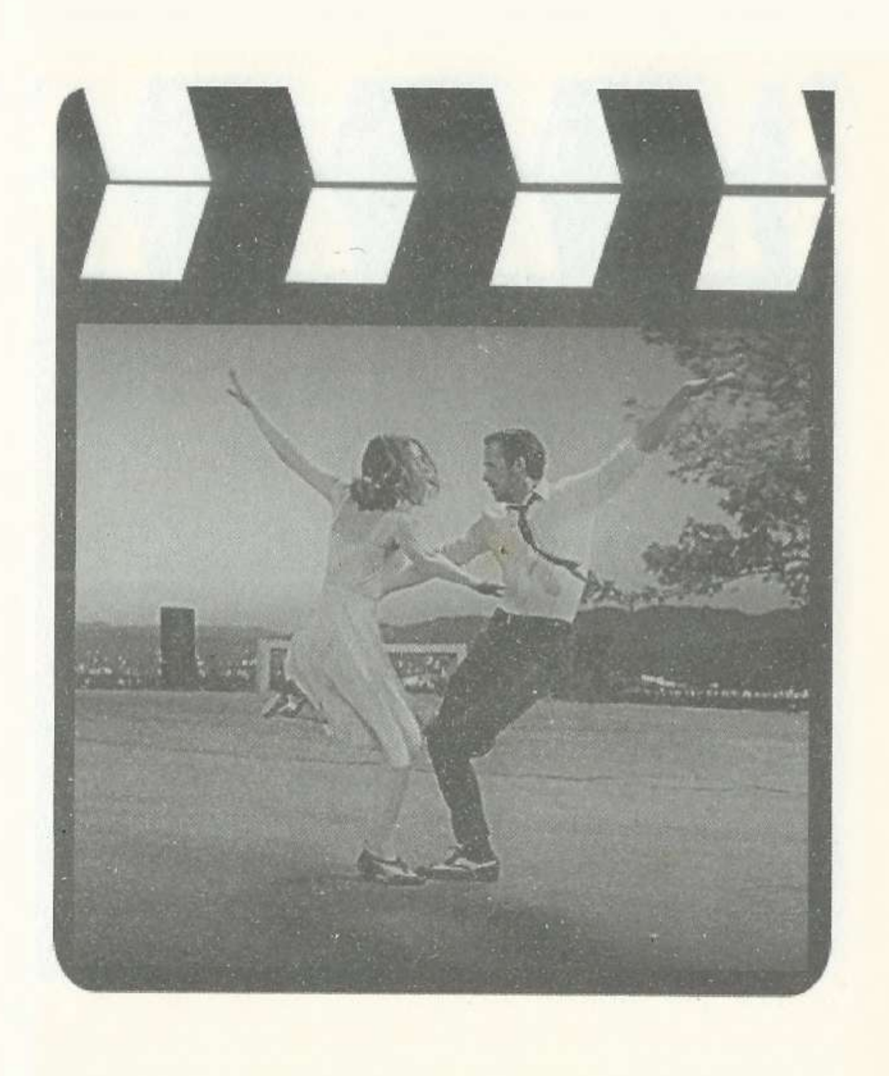


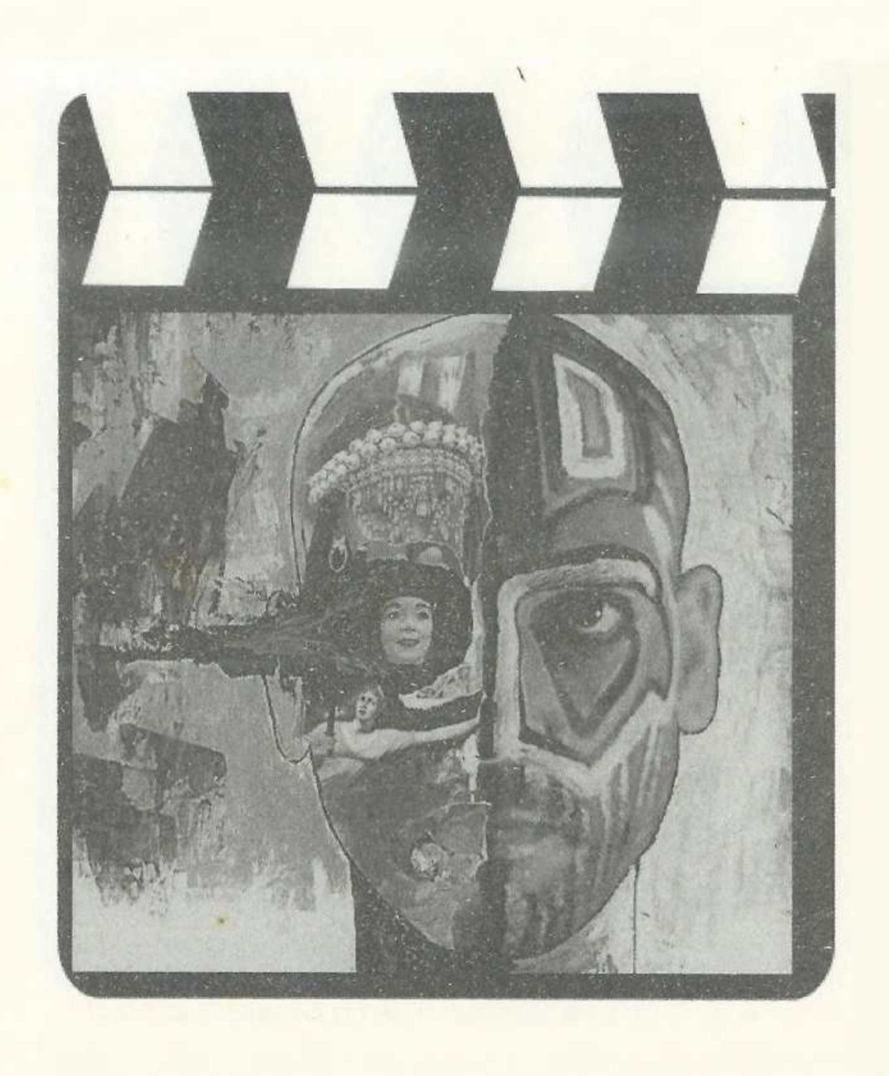














كريم فرغلي

كريم فرغلي

السينما

والرَقص علىٰ الحبال المشْدُودَة

الإحجام عن تأدية المشاهد العاطفية لم يقتصر على الفنانات، بل إن بعض النجوم الرجال فضلوا عدم تأديتها أيضا نتيجة استسلامهم لظغط مجتمع يعتنق هذا الفكر ولا يُحسن الفصل بين ما يقدمه الفنان على الشاشة وأخلاقياته أو قناعاته الشخصية، مثلما حدث مع النجم العالمي عمر الشريف، الذي واجه هجومًا ضاريًا بسبب تقبيله للممثلة والمغنية الشهيرة باربرا سترايسند BARBRA STREISAND ضمن أحداث فيلم فتاة مرحة "68FUNNY GIRL"، وصلت إلى الحد الذي طالب فيه البعض بسحب الجنسية منه.

محمد عبد الرحمن

كريم فرغلي

صحفي وسيناريست وشاعر مصري. حصل على بكالوريوس الإعلام من جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا. كما حصل على ماجستير في الصحافة من جامعة RUDN بموسكو - روسيا. درس علوم السينما والسيناريو في دورات قصر السينما - القاهرة، جاردن ستي. كتب بجريدتي "اليوم" السعودية، و "المقال" المصرية، والعديد من الصحف العربية. عضو مجلس إدارة ومدير الثقافة والفنون بمركز "بدايات" الإبداعي بالقاهرة.



تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف